

نظارات في فكر الغزالى

تأليف

دكتور عامر النجار

الطبعة الثانية

١٩٩٢



دار المعرفة

تصميم الغلاف : محمد أبو طالب
(محمد الصغير)

الناشر : دار المعارف - ١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

الإِهْمَادُ

إِلَى رُوحِ عَالَمَنَا الْجَلِيلِ

أَسْتَاذُنَا إِلَيْمَامُ الدَّكْتُورُ عَبْدُ الْحَلِيمِ مُحَمَّدٌ

أَهْدَى هَذَا الْعَمَلَ رَاجِيًّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ
خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَأَنْ يَكُونَ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي يَنْتَفَعُ بِهِ بَعْدَ أَنْ تَنْقُطَعَ
الْأَعْمَالُ بِالْمَوْتِ اللَّهُمَّ آمِينَ .

عَامِرُ التَّجَارِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

منذ أكثر من تسع قرون من الزمان كان مولد الإمام الغزالى رضى الله عنه الذى عاش حياته مفكرا إسلاميا ثرى العطاء ، متყد الذهن ، أحدث بروحه وعقله ثورة عظيمة فى مجال الفكر الإسلامى والفلسفة والتصوف .

وكان هدفه البحث عن الحقيقة ، ووضح صدقه من خلال قوله « وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور رأى ودينه ، من أول أمرى ، وريغان عمرى . غريرة وفطرة من الله ، وضعتا في جيلى ، لا باختيارى وحيلتى » (١) .

وكان مطلوبه العلم الحقيقى « إنما مطلوبى العلم بحقائق الأمور . فلا بد من طلب حقيقة العلم . ما هي ؟ فظاهر لى أن العلم اليقينى هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشفا لا يقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك . بل الأمان من الخطأ ينبغى أن يكون متارنا للبيتين ، مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلما من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا ، لم يُؤرث ذلك شكا وإنكارا » (٢) .

وهكذا فتح الإمام الغزالى الباب أمام العقل المستثير ببروح البصيرة ليحصل إلى العلم الصحيح .

وهذه نظرات فى فكر الغزالى عايشتها وعشتها فى رحاب عقل حجة الإسلام . . وقد تضمنت هذه النظرات إلقاء الضوء على بعض مؤلفاته وهى « إحياء علوم الدين » و « مشكاة الأنوار » و « كيمياء السعادة » . ويبحث مشكلة اليقين عند الغزالى .
هذا . . وبالله التوفيق والسداد

عامر النجار

(١) المقتد من الفضائل لحجج الإسلام الغزالى من ٦٨ . طبعة مكتب النشر العربي بدمشق ١٩٣٤ .

(٢) المرجع السابق من ٦٩ .

«المبحث الأول»

الغزالى وتلاميذه وأهم كتبه

أولاً : أضواء على الغزالى وتلاميذه

١ - تعريف بالغزالى :

الغزالى هو بحق كما وصفه ماككونالد يُعدّ من أعرق المفكرين المسلمين أصالة وأعظم المتكلمين المسلمين إطلاقاً .

وهو - لاشك عندنا - مجدد القرن الخامس الهجرى بلا منازع . (١) فإذا كان فى المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وفى الثانية الشافعى وفي الثالثة الأشعري ، أو ابن سيرج وفي الرابعة الاسفرايني أو الباقلانى فإن فى الخامسة حجة الإسلام وزين الدين الإمام الغزالى رضى الله عنه .

قال إمام الحرمين عن تلميذه الغزالى «الغزالى بحر مدقق»

وقال الإمام محمد بن يحيى تلميذ الغزالى : «الغزالى لا يعرف فضله إلا من بلغ ، أو كاد يبلغ الكمال فى عقله» .

وقال ابن النجار عن الغزالى : «إمام الفقهاء على الإطلاق ، وربانى الأمة بالاتفاق ، ومجتهد زمانه ، وعين وقته وأوانه ، ومن شاع ذكره في البلاد ، واشتهر فضله بين العباد ، واتفق الطوائف على تبجيله وتعظيمه ، وتوقيره وتكريمه . وخفاف المخالفون وانصرافه وأدلة المناظرون ، وظهرت بتفصيلاته فضائح المبتدة والمخالفين ، وقام بإظهار السنة ونصر الدين ، وسارت مصنفاته في الدنيا ، مسيراً الشمس في البهجة والجمال ، وشهد له المخالف والمافق ، بالتقدم والكمال» .

(١) من أهم المصادر عن حياة الغزالى كتابة المنقد من الضلال ، والسيد المرتضى : مقدمة كتاب الإتحاف ج ١ ص ٢ : ص ٥٣ . وهي ذات المادة الموجودة في : طبقات السبكي ج ٤ ص ١٠١ - ص ١٨٢ .

[المنقد من الضلال : ص ١٨ طبعة مكتب التحرير العربى] .

ومن أفضلي من عرفنا بالغزالى عبد الغافر الفارسى خطيب نيسابور وكان من الثقة المعاصرین وقد ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساکر كلام عبد الغافر الفارسى عن الإمام الغزالى فقال : قال : أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الخطيب الفارسى خطيب نيسابور : محمد بن محمد بن محمد : أبو حامد الغزالى ، حجة الاسلام والمسلمين إمام أئمة الدين : لم تر العيون مثله لساناً وبياناً ، ونطقاً وخطراً ، وذكاءً وطبعاً ، أخذ طرفاً في صياغة في « طوس » من الفقه على « الإمام » أحمد الرانكاني ثم قدم « نيسابور » مختلطاً إلى درس « إمام الحرمين » في طائفة من الشبان من « طوس » وجده واجتهد ، حتى تخرج في مدة قريبة ، ويزأ الأقران ، وحمل القرآن وصار أنظر أهل زمانه وأوحد أقرانه في أيام إمام الحرمين وكان الطلبة يستقيدون منه ، ويدرس لهم ، ويرشدهم ، ويجتهد في نفسه ، وبلغ الأمر به إلى أن أخذ في التصنيف .

وكان الإمام مع علو درجته ، وسمى عبارته ، وسرعة جريه في النطق والكلام لا يصفى نظره إلى الغزالى سراً ، لإيمائه عليه في سرعة العبارة وقوة الطبيع ، ولا يطيب له تصديه للتصانيف ، وإن كان متخرجاً به ، منتسباً إليه ، كما لا يخفى من طبع البشر ، ولكن يظهر التجدد به ، والاعتداد بمكانته ظاهراً خلاف ما يضرمه ، ثم بقى كذلك حتى انقضاء أيام الإمام .

فخرج من « نيسابور » وصار إلى « العسكر » واحتل من « نظام الملك » محل القبول وأقبل عليه « الصاحب » لعلو درجته وظهور اسمه ، وحسن مناظرته ، وجرى عبارته . وكانت تلك الحضرة محطة رجال العلماء ، ومقصد الأئمة والقصاصاء ، فرقعت للغزالى اتفاقات حسنة ، من الاحتكاك بالأئمة وملاقاة الخصوم اللد ، ومناظرة الفحول ومناقدة الكبار ، وظهر اسمه في الآفاق ، وارتقد بذلك أكمل الارتفاع ، حتى أدى الحال به إلى أن رسم للمسير إلى « بغداد » للقيام بالتدريس « بالمدرسة الميمونة النظامية » ، فصار إليها وأعجب الكل تدريسه ، ومناظرته ، مالقى مثل نفسه ، وصار بعد إمام « خراسان » إمام « العراق » .

ثم نظر في علم الأصول ، وكان قد أحكمه ، فصنف فيه تصانيف وجدد المذهب في

الفقه فصنف فيه تصانيف ، وسبك الخلاف ، فجدد فيه أيضا تصانيف ، وعلت حشمته ودرجته في « بغداد » حتى كانت تقلب حشمة الأكابر والأمراء ، ودار الخلافة ، فانقلب الأمر من وجه آخر .

وظهر عليه نور العلم بعد مطالعة العلوم الدقيقة ، وممارسة الكتب المصنفة فيها ، وسلك طريق الزهد والتائه ، وترك الحشمة ، وطرح مانال من الدرجة ، للاشتغال بأسباب التقوى ، وزاد الآخرة .

فخرج عما كان فيه ، وقصد بيت الله ، وحج ثم دخل الشام وأقام في تلك الديار قريبا من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد المعظمة ، وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يسبق إليها ، مثل « أحياء علوم الدين » والكتب المختصرة منه ، مثل « الأربعين » وغيرها من الرسائل التي من تأملها علم محل الرجل من فنون العلم .

وأخذ في مجاهدة النفس ، وتغيير الأخلاق ، وتحسين الشمائل ، وتهذيب المعاش فانقلب شيطان الرعونة ، وطلب الرياسة والجاه ، والتخليق بالأخلاق الذهنية إلى سكون النفس وكرم الأخلاق ، والفراغ عن الرسوم والترقيات وتزييا بزى الصالحين وقصر الأمل ، ووقف الأوقات على هداية الخلق ، ودعائهم إلى ما يعنيهم من أمر الآخرة وتبغيف الدنيا والاشتغال بها على السالكين ، والاستعداد للرحيل إلى الدار الباقية والإقتداء بكل من يتوسّم فيه ، أو يشم منه رائحة المعونة أو التيقظ بشيء من أنوار المشاهدة ، حتى من على ذلك ولان .

ثم عاد إلى وطنه ، ملازما بيته ، مشتغلًا بالتفكير ، ملازما للوقت ، مقصودا تقىا وذخرا للقلوب ، لكل من يقصده ويدخل عليه إلى أن أتى على ذلك مدة ، وظهرت التصانيف وفشت الكتب ، ولم تجد في أيامه مناقضة لما كان فيه ، لا اعتراض لأحد على أمره ، حتى انتهت نوبة الوزارة إلى « الأجل فخر الملك ، جمال الشهداء » تغمده الله برحمته وترزىنه « خراسان » بحشمته ودولته .

وقد سمع فخر الملك وتحقق بمكانه الغزالى ودرجته ، وكمال فضله وحالته ، وصفاته عقيدته ومعاشرته ، فتبرك به ، وحضره ، وسمع كلامه ، فاستدعا منه أن لا يبقى أنفاسه

وفوائد عقيمة ، لا استفادة منها ، ولا اقتباس من أنوارها ، وألح عليه كل الإلحاح ، وشدد في الاقتراح إلى أن أجاب إلى الخروج وحمل إلى « نيسابور » وكان الليث غائباً عن عرينه والأمر خافياً في مستور قضاء الله ومكتونه .

فأشير عليه بالتدريس في « المدرسة الميمونة النظامية » عمرها الله ، فلم يجد بدا من الإنذان لولاه ، ونوى إظهار ما اشتغل به هداية السراة ، وإقادة القاصدين دون الرجوع إلى ما انخلع عنه ، وتحرر عن رقه من طلب الجاه ، وعمارة الأقران ، ومكابرة المعاندين . وكم قرع عصاه بالخلاف والوقوع فيه ، والطعن فيما يذره ويتأتيه والسعابة به والتثنيع عليه ، فما تأثر به ، ولا اشتغل بجواب الطاعنين ، ولا أظهر استيحاشاً بغمىزة المخلطين .

ولقد زرته مراراً ، وما كنت أحدث في نفسي ماعهدته في سالف الزمان عليه ، من الزعارة وإيحاش الناس ، والنظر إليهم بعين الإزدراء ، والاستخفاف بهم كبراً وخلياء ، واغتراراً بما يذق من البسطة في النطق والخاطر والعبارة ، وطلب الجاه والعلو في المنزلة . إنه صار على الضد وتصدق عن تلك الكدورات ، وكنت أظن أنه متلفع بجلباب التكلف ، متيمن بما صار إليه .

فتحققت بعد التروى والتنفير أن الأمر على خلاف المظنو ، وأن الرجل أفاق بعد الجنون .

وحكى لنا في ليال ، كيفية أحواله ، من ابتداء ما ظهر له من سلوك طريق التائه وغلبة الحال عليه ، بعد تبصره في العلوم ، واستطالته على الكل بكلامه ، والاستعداد الذي خصه الله به في تحصيل أنواع العلوم ، وتمكنه من البحث والنظر ، حتى تبرم من الاشتغال بالعلوم العربية عن المعاملة ، وتذكر في العاقبة ، وما يجدى وما ينفع في الآخرة .

فابتداً بصحبة « الفارمدي » وأخذ منه استفتاح الطريقة ، وامتثل ما كان يشير به عليه من القيام بوظائف العبادات ، والإمعان في النوافل ، واستدامة الأذكار ، والجد والاجتهاد طلباً للنجاة ، إلى أن جاز تلك العقبات ، وتكلّف تلك المشاق ، و Mataحصل على مكان يطلبه من مقصوده .

ثم حكى أنه راجع العلوم وخاض فى الفنون وعاواد الجد والاجتهاد فى كتب العلوم
الدقائق واقتفى تأويلها ، حتى انتفتح له أبوابها .

ويقى مدة فى الواقع ، وتكافؤ الأدلة وأطراف المسائل .

ثم حكى أنه فتح عليه باب من الخوف ، بحيث شغله عن كل شيء ، وحمله على
الإعراض عما سواه حتى سهل ذلك ، وهكذا . . . وهكذا . . . إلى أن أرتأض كل الرياضة
وظهرت له الحقائق وصار ماكنا نظن به ، تمرسا وتخلاقا ، طبعا وتحققا ، وأن ذلك أثر
السعادة المقدرة له من الله .

ثم سألناه عن كيفية رغبته في الخروج من بيته ، والرجوع إلى ما دعى إليه من أمر
«نيسابور» فقال معتذرا عنه :

«ماكنت أجوز في ديني ، أن أقف عن الدعوة ، ومنفعة الطالبين بالإفادة ، وقد حق
على أن أبوج بالحق ، وأنطق به وأدعوه إليه »
وكان صادقا في ذلك .

ثم ترك ذلك قبل أن يترك ، وعاد إلى بيته ، واتخذ في جواره «مدرسة» لطلبة العلم ،
« وخانقاه للصوفية » وكان قد وزع أوقاته على وظائف الخير ، من ختم القرآن ، ومجالسة
أهل القلوب ، والتعود للتدريس بحيث لا تخلي لحظة من لحظاته ، ولحظات من معه عن فائدة ،
إلى أن أصحابه عين الزمان ، وضفت به الأيام على أهل عصره فنقله إلى كريم جواره ، بعد
مقاساة أنواع من التقصد والمناواة من الخصوم . والسعى به إلى الملوك . وكفاه الله وحفظه
وصسانه من أن تتوشه أيدي المنكبات ، أو ينتهك ستر دينه بشيء من الزلات .

وكان خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومجالسة أهله
ومطالعة الصحاحين : «البخاري» و«مسلم» اللذين هما حجة الإسلام ، ولو عاش لسيق
الكل في ذلك الفن ، بيسير من الأيام يستفرغه في تحصيله ، ولاشك أنه سمع الأحاديث في
الأيام الماضية ، واشتغل إلى آخر عمره بسماعها ، ولم تتفق له الرواية .

ولا خير فيما خلفه من الكتب المصنفة في الأصول والفروع وسائر الأنواع ، تخلد
ذكره وتقرر عند المطالعين المستفيدين منها ، أنه لم يخلف مثله بعده .

مضى إلى رحمة الله يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة ، سنة خمس وخمسين ودفن بظاهر « قصبة طابران » والله تعالى يخصه بأنواع الكرامة في آخرته ، كما خصه بفنون العلم في دنياه ، بمنه .

ولقد كان الغزالى مصلحا اجتماعيا من الدرجة الأولى ، حاول أن يعرف أمراض المجتمع ليصلحها فلقد كانت النفوس خربة والضمائر مفقودة ، والأخلاق معلومة « وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصلحه وفلان يشرب الخمر ، وفلان يأكل أموال الأوقاف ، وأموال اليتامى ، وفلان يأكل إدرار السلطان ولا يحترز عن الحرام وفلان يأخذ أرشوة على القضاء والشهادة وهلم جرا إلى أمثاله » (١) وهذا هو الذي دعاه إلى ضرورة نشر العلم بعد إعراضه عن ذلك .

« فانقدح ذلك في نفسي أن ذلك متعين في هذا الوقت محظوظ ، فماذا تغريك الخلوة والعزلة ، وقد عم الداء ومرض الأطباء ، وأشرف الخلق على الهلاك » (٢)

ونقل في الشنرات قول الإسنوى في طبقاته « الغزالى إمام ، باسمه تنشرح الصدور وتحيا النفوس ، وبرسمه تفتخر المحابر ، وتهتز الطروس ، وبسماعه تخضع الأصوات وتخضع الرؤوس ، ولما تقد من صديق أبيهما ماحلله والوالد له ولأخيه أحمد ، وتعذر عليه القوت فقال : لlama أن ثلجا إلى المدرسة ، قال الغزالى ، فصرنا إلى المدرسة نطلب الفقه لتحسين القوت ، فاشتغل بها مدة ، ثم ارحل إلى أبي نصر الأسماعى بجرجان ثم إلى إمام الحرمين بنى ساپور ، فاشتغل عليه ولازمه ، حتى صار أنظر أهل زمانه وجلس للإقراء في حياة إمامه وصنف ، وينسب إليه شعر ، فمن ذلك ماتسبيه إليه ابن السمعانى ، في « الذيل » و العماد الأصبهانى في الخريدة :

قمراً ، فَجَلَّ بِهِ عَنِ التَّشْبِيهِ فَمِنَ الْعَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّ فِيهِ	حَلَّتْ عَقَارِبُ صَدِيقِهِ فِي خَدِّهِ وَلَقَدْ عَهَدْنَاهُ يَحْلَّ بِيرْجَهَا وَأَنْشَدَ الْعَمَادَ لَهُ أَيْضًا :
--	--

هَبْنَى صَبُوتَ كَمَا تَرَوْنَ بِزَعْمِكُمْ
وَحَظِيتْ مَنْهُ بِلَثَمٍ ثَفْرٍ أَزْهَرٍ

(١) ، (٢) المقتد من الضلال للغزالى . ص ١٤٨ طبعة مكتب النشر العربي بدمشق .

أني اعتزلتُ فلا تلوموا أنه أضحي يقابلني بوجهٍ أشعري

فلمما مات إمامه خرج إلى العسكر ، وحضر مجلس نظام الملك ، وكان مجلسه محظ رحال العلم ، ومقصد الأئمة ، ومجاراة الخصوم اللد ، ومناظرة الفحول ، ومناطحة الكبار ، فأقبل عليه نظام الملك ، وحل منه محلًا عظيمًا ، فعظمت منزلته وطار اسمه في الآفاق ، وندب للتدريس بنظامية بغداد سنة أربع وثمانين وأربعين ، فقدمها في تجمُّل كبير وتلقاه الناس ونفت كلمته ، وعظمت حشمته ، حتى غلت على حشمة الأمراء والوزراء وضرب به المثل ، وشدت إليه الرجال ، إلى أن شرفت نفسه عن زرائل الدنيا فرفضها وطرحها ، وأقبل على العبادة والسياحة ، فخرج إلى الحجاز ، في سنة ثمان وثمانين وأربعين ، فحج ورجع إلى دمشق واستوطنه عشر سنين وصنف فيها كتابا ، يقال : إن « الإحياء » منها ، ثم صار إلى القدس والاسكندرية ، ثم عاد إلى وطنه بطورس ، مقيلا على التصنيف والعبادة ، وملزمة التلاوة ونشر العلم ، وعدم مخالطة الناس ، ثم ان الوزير فخر الدين ابن نظام الملك حضر إليه وخطبه إلى نظامية نيسابور ، وألح عليه كل الإلحاح ، فأجاب إلى ذلك ، وأقام عليه مدة ، ثم تركه وعاد إلى وطنه ، على مكانه عليه ، وابتلى إلى جواره خانقاه للصوفية ، ومدرسة للمشتغلين ، ولزم الانقطاع ، ووظف أوقاته على وظائف الخير ، بحيث لا يمضى لحظة منها إلا في طاعة من التلاوة والتدريس ، والنظر في الأحاديث ، خصوصاً البخاري ، وادامة الصيام والتهجد ، ومجالسة أهل القلوب إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى ، وهو البركة الشاملة ، وروح أهل الإيمان والطريق الموصلة إلى رضا الرحمن ، يتقرب بحبه إلى الله تعالى ، ولا يغمسه إلا ملحد أو زنديق ، وقد انفرد في ذلك العصر عن أعلامه الزمان (انتهى كلام الاستوى) .

وكان جرينا في الحق ، ويقول كلمة صدق قوية تهتز لها عروش الحكام .

ففي رسائل الإمام الغزالى بالفارسية . قال الغزالى : لست بمن ينكر شاه السلجوقى حاكم خراسان « أسفًا .. إن رقاب المسلمين كادت تنقض بالمحاصب والضرائب ، ورقاب خيلك كادت تنقض بالأطواق الذهبية » .

كما كتب لأخيه الأكبر محمد بن ملك شاه رسالة خطيرة قوية حيث فيها على ضرورة

الإصلاح ، والخوف من المتقم الجبار ، يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم البطش العظيم .
ورسالته إلى فخر الملك ضمن رسائله الفارسية رسالة قوية بليفة يقول فيها :
« اعلم أن هذه المدينة (مدينة طوس) أصبحت خراباً بسبب المجاعات والظلم ، ولما
بلغ الناس توجهك من « أسفارائن » و « دامغان » خافوا ، وبدأ الفلاحون يبيعون الحبوب ،
واعتذر الظالمون إلى المظلومين واستسمحونهم ، لما كانوا يتوقعون من انصاف منك ،
واستطلاع للأحوال ونشاط في الإصلاح . أما وقد وصلت إلى « طوس » ولم ير الناس شيئاً
فقد زال الخوف وعاد الفلاحون والخبازون إلى ما كانوا عليه من الغلاء القاحش والإحتكار ،
وتشجع الظالمون ، وكل من يخبرك من أخبار هذا البلد بخلاف ذلك ، فاعلم أنه عدو دينك ،
واعلم أن دعاء أهل « طوس » بالخير والشر م التجرب ، وقد نصحت للعميد كثيراً ، ولكنه لم
يقبل النصيحة ، وأصبح عبرة للعالمين ونكالاً للآخرين . اعلم يا فخر الملك ! ان هذه الكلمات
لأندمة مرة قاسية لا يجرؤ عليها إلا من قطع أمله عن جميع الملوك والأمراء فاقدرها قدرها ،
فإنك لاتسمعها من غيري ، وكل من يقول غير ذلك ، فاعلم أن طمعه حجاب بينه وبين كلمة
الحق » .

وفي رسائل الإمام الغزالى الفارسية يجأر الإمام بالشكوى إلى الله تعالى « لقد بلغت
المدينة العظم ، وبلغ السيل الزبى ، وكاد المسلمون يستأصلون ، وأن ما قسمة الموظفون من
الدفاتير على أهل البلد - أمانة من الملك - أخذنا أضعافها من الرعية وانتهينا الظالمون
والسفالة من الناس ، ولم يصل منها شيء إلى السلطان » .
وهذا كله يدلنا على مبلغ جرأته في الحق .

٢ - تلاميذ الغزالى :

كانت مدرسة الغزالى الكبرى تضم بين جنباتها عشرات التلاميذ النجباء ، أسماؤهم
المضيئة أشرقت في كتب الطبقات وكتب التاريخ وغيرها من المؤلفات التي تحدثت عن حجة
الإسلام الإمام الغزالى رضى الله عنه . كذلك نجد بعض هذه الأسماء الوضيحة في " اتحاف
السادة المتدينين ، في شرح إحياء علوم الدين " للسيد " مرتضى الزبيدي " وفي كتاب الدكتور

أحمد الرفاعي عن الغزالى .

ومن تلاميذ الغزالى (١) أبو النصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الخُمْقَدِيُّ . نسبة إلى بلده يُدعى « خمس قُدَى » وهو المعروف باسم شيخ ربه ، ولد سنة ست وستين وأربعين وتوفي بطوس على الإمام الغزالى وسمع الحديث من آخرين وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسين .

ومنهم الإمام أبو الفتح أحمد بن على بن برهان الأصولى وكان حنانيا ثم انتقل وتفقه على الشاشى ، وأبى حامد الغزالى والكيا (٢) وكان يدرس فى المدرسة النظامية فى أنواع العلوم ، وكن يدرس للطلاب كتاب الإحياء فى نصف الليل ولد سنة ست وسبعين وأربعين وتوفي سنة ثمانين عشرة وخمسين .

ومنهم أبو منصور محمد بن اسماعيل بن الحسين بن القاسم العطار الطوسي الراعظ الملقب بـ جندة توفي سنة ست وثمانين وأربعين وتوفي طوس ، وعلى أبي بكر السمعانى فى « مرو » وسمع من البغوى كتبه ، ومن أبي الفتيان الدهشتانى الحافظ .

ومنهم الشديد أبو سعيد محمد بن أسد بن محمد الثوقانى ، تفقه على أبي حامد ، وقتل فى مشهد على بن موسى الرضا فى سنة أربع وخمسين وخمسين وخمسين فى واقعة التغر . وأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودى الملقب بالمهدى صاحب دعوة سلطان المسلمين عبد المؤمن بن على ملك المغرب ، دخل المشرق فتفقه على أبي حامد الغزالى ، وله أخبار طويلة وسيرة مستفاضة .

وأبى حامد محمد بن عبد الملك بن محمد الجوزقانى الإسپرایینی ، تفقه على الإمام الغزالى ببغداد ، وسمع ابن أبي عبد الله الحميدي الحافظ ، لقيه ابن السمعانى فى « اسپرایین » موطنها .

(١) الغزالى : ج ٢ للدكتور الرفاعي ص ١٦٩ : ١٧١ .

(٢) أبو الحسن على بن محمد بن الطبرى المعروف بالكيا الهراسى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٥٠٤ هجرية والكيا معناه : الكبير القدير المقدم بين الناس .

وأبو عبد الله محمد بن على بن عبد الله العراقي البغدادي ، تفقه على الغزالى والكيا والشاشى ، ويقى بعد الأربعين وخمسة .

وأبو سعيد محمد بن على الجاوانى الكردى ، حدث بكتاب « إلجام العوام » للغزالى عنه ، وقرأ المقامات الحريرية على مؤلفها .

والإمام أبو سعيد محمد بن يحيى بن منصور النيسابورى ، ولد سنة ست وسبعين وأربعين ، وهو من أشهر تلاميذ الغزالى ، تفقه عليه ، وشرح كتابه « البسيط » وسمع الحديث من أبي حامد بن عبيوس ونصر الله الخشتانى ، وعليه تفقه الموفق الخوشانى المدفون تحت رجل الإمام الشافعى بمصر ، استشهد فى رمضان سنة ثمان وأربعين وخمسة في واقعة الفز .

ومنهم أبو طاهر ابراهيم بن الطهير الشيبانى حضر دروس إمام الحرمين أبي المعالى الجوبى فى نيسابور ، ثم صحب الغزالى ، وسافر معه إلى العراق والهزار والشام ، ثم عاد إلى موطنـه بجرجان وأخذ فى التدريس والوعظ ، وقتـل شهيدا سنة ثلاثة عشرة وخمسة .

ومنهم أبو الفتح نصر بن محمد بن ابراهيم الأذربىجانى المراغى الصوفى ، حـكى عن أبي حامد الغزالى وغيره ، وحـكى عنه أبو سعد بن السمعانى قال : سمعت أبا الفتح نصر بن محمد بن المراغى املاه بـأصل طبرستان يقول : اجتمع الأئمة أبو حامد الغزالى ، وأسماعيل الحاكمى ، وأبراهيم الشـبـاكـى ، وأبو الحسن البصـرى ، وجـمـاعـةـ كـثـيرـةـ منـ أـكـابرـ الـغـرـيـاءـ فـىـ مـهـدـ عـيـسىـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـيـتـ المـقـدـسـ وـأـنـشـدـ فـقـالـ هـذـيـنـ الـبـيـتـيـنـ :

فـدـيـتـكـ ، لـوـلـاـ حـبـ كـنـتـ فـدـيـتـشـىـ

ولـكـ بـسـحـرـ الـمـلـتـيـنـ سـبـيـتـشـىـ (١)

أـتـيـتـكـ لـمـاـ ضـاقـ صـدـرـيـ مـنـ الـهـوـىـ

وـلـوـكـنـ تـدـرـىـ كـيـفـ شـوـقـىـ أـتـيـتـىـ

(١) سـبـيـتـشـىـ : أـسـرـتـشـىـ .

فتواجد أبو الحسن البصري وجَدًا أثرًا في الحاضرين ، فدمعت العيون ومرّقت الجيوب ، وتوفي محمد الكاذبُى من بين الجماعة في الوجد ، قال المراغي : وكنت معهم حاضراً ذلك .

ومنهم الإمام أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين الجهني الموصلى تفقه على الغزالى وتتوفى سنة اثنتين وخمسين وخمسماة .

ومنهم خلف بن أحمد النيسابورى ، تفقه على الغزالى ، وله عنه تعلقة ، ذكره ابن الصلاح في « مشكل الوسيط » وقال : بلغنى أنه توفي قبل الغزالى .

ومنهم أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد الأنصارى البَلْسُنِى المحدث ، أحد السياحين ، تفقه ببغداد على الغزالى ، وسمع بها عن طرائد وابن البطر (١) وروى عنه السمعانى وابن الجوزى ، وابنته فاطمة بنت سعد ، وتتوفى سنة إحدى وأربعين وخمسماة .

ومنهم أبو عبد الله شافع بن عبد الرشيد بن القاسم الجيلى ، تفقه على الكيا والغزالى ، وسمع الحديث بالبصرة ، وروى عنه السمعانى ، وتتوفى سنة إحدى وأربعين وخمسماة .

ومنهم أبو عامر دَفْشُونَى بن على بن أبي العباس التعمى الموقفى ، خرج إلى طوس وأقام عند الغزالى مدة ، وأخذ عنه ، وتتوفى سنة اثنتين وأربعين وخمسماة .

ومنهم الاستاذ أبو طالب عبد الكريم بن على بن أبي طالب الرازى ، تفقه على الغزالى ببغداد ، وروى عنه أبو النصر القامى مؤرخ هراة ، وكان أبو طالب يحفظ كتاب « الإحياء » سرداً على القلب ، وتتوفى « بعرو الروذ » سنة ثمان وعشرين وخمسماة .

ومنهم الإمام أبو منصور سعيد بن محمد بن عمر بن منصور الرذاز ، ولد سنة اثنتين وأربعين وأربعين وتقه على الشاشى والغزالى والمتولى والطبرى والكيا ، ودرس فى النظامية ، وكانت وفاته سنة ثلاثة وثلاثين وخمسماة .

(١) هو أبو الخطاب نصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر القارئ المحدث . ولد سنة ٣٩٨ هـ وتتوفى في ١٦ ربيع الأول سنة ٤٩٤ هـ .

ومنهم أبو الحسن على بن محمد حموي الجوني الصوفى ، صحب الإمام الغزالى
بطروس وتفقه عليه .

ومنهم أبو محمد صالح بن محمد بن عبد الله حرازم ، لقبه بالقوس ، وصحابه واتفقت
له معه غريبة حكاماً أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاضِيِّ السِّجْلَمَاسِيِّ فِي كِتَابِهِ « الإِصْلَيْتُ » .
ومنهم أبو الحسن على بن المطهر بن مكى بن مقلاتحى الدينورى ، من كبار تلاميذ
الغزالى فى الفقه وسمع الحديث من البطر ، وطبقته ، وروى عنه ابن عساكر ، وتوفي سنة
ثلاث وثلاثين وخمسماة .

ومنهم مروان بن على بن سلامة بن مروان بن عبد الله الطنزي من قرية بدیار يکر ،
ورد ببغداد وتفقه بها على الغزالى والشاشى ، وروى عنه ابن عساكر توفي بعد الأربعين
وخمسماة .

ومنهم أبو الحسن على بن مسلم بن محمد على السلمى جمال الإسلام ، لازم الغزالى
مدة مقامه بدمشق وأخذ عنه ، ويحكى أن الغزالى قال بعد خروجه من الشام خلفت بالشام
شايا إن عاش كان له شأن - يعني جمال الإسلام هذا - فكان كما تقرس فيه .

* * *

ثانياً : من مؤلفات الغزالى

مدخل إلى وسائل البحث عند الغزالى :

قبل أن نتعرّف على مؤلفات الغزالى ينبغي أن تتحدث عن وسائل البحث عنده . . . والحقيقة إنّه استخدم في بحثه وكتاباته وسائل علمية على درجة كبيرة من الأهمية فاستعان باللّاحظة والتّأمل الباطنى والتجربة واستبار الناس ، والاستشهاد بالسلف وكان ملماً بكل اطّراف بحثه عالماً بخفايا مشكلاته . . وقد أوضح لنا هذه النقطة الدكتور حسن الساعاتى (١) مستشهدًا بتصوّص الغزالى نفسه في بيان ذلك .

فمن أمثلة استخدامه للاحظة في البحث قول الغزالى في " المندى من الضلال " فان وقع لك الشك في شخص معين أنه نبي أم لا فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة ، أحواله ، إما بالمشاهدة أو بالتواتر والتسامع ، فإنك إذا عرفت الطب والفقه يمكنك ان تعرف الفقهاء ، والأطباء بمشاهدة أحوالهم وسماع أقوالهم . (٢)

وبالنسبة لللاحظة المقيدة وهي المقتنة بالتجربة فيظهر ذلك مثلاً من خلال حواره في « رسالة القسطاس المستقيم » مع رفيق من رفقاء أهل التعليم إذ يقول على لسانه مجيباً عن سؤال : « فمن أين تعلم أن الميزان صادق ؟ أعلم ذلك عالماً ضروريًا يحصل لي من مقدمتين : إحداهما تجريبية ، والأخرى حسية . أما التجريبية ، فهي أنني علمت بالتجربة أن الثقيل يهوي إلى أسفل ، وأن الانتقال أشد هويًا ، والمقدمة الثانية ، هي أن هذا الميزان بعينهرأيته لم تهوي إحدى كفتته بل حانت الأخرى معاذة مساواة ، وهذه المقدمة حسية شاهدتها بالبصر » . (٣)

(١) في بحثه بمهرجان الغزالى بدمشق عام ١٩٦١ بعنوان « المنهج الوضعي عند الغزالى » صفحة ٤٤٢ - ٤٤٨ باختصار .

(٢) المندى من الضلال : للغزالى ص ١٤٠ طبعة مكتب النشر العربي بدمشق ١٩٣٤ م .

(٣) القسطاس المستقيم للغزالى ص ١٥ وص ١٦ باختصار طبعة مكتبة جعفر الحديثة بالحسين القاهرة ١٩٨١ .

أما بالنسبة للتأمل الباطنى فكان ذلك يتم بـ ملاحظة النفس فى تقلباتها ومتابعه أحوالها ، والشعور بهواجسها وخطراتها وثباتها وتتبع ذلك بامعان . . ولقد قدم لنا الغزالى صورة صادقة من التأمل الباطنى الصريح فى منقذه من الضلال حيث يقول : " ثم لاحظت أحوالى ، فإذا أنا منفخ فى العائق ، وقد أحذقت بي من الجوانب ، ولاحظت أعمالى - وأحسنتها التدريس والتعليم - فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولاتافعة فى طريق الآخرة . ثم تفكرت فى نيتها فى التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى ، بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت . . فتيقنت أنى على شفا جُرف هار ، وأنى قد اشفيت على النار ، إن لم أشتغل بـ تلافي الأحوال " (١)

وهذا تأمل باطنى دقيق و ملاحظة عميقة للنفس وتتبع عميق لها فى أعماقها .
وبالنسبة للتجربة فى ميدان العلوم الاجتماعية فهى تعنى ملاحظة السلوك وسط ظروف مدبرة .

ومن هذه التجارب ما ذكره الغزالى فى " الإحياء " حيث يقول " فإن الإنسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه ، فيدرك صورته فى نفسه وهو فى الخيال ، ثم تبقى هذه الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجنـد الحافظة أى " القرة " ثم يتذكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ، ثم يتذكر ما قد نسيه ويعول إليه ، ثم يجمع جملة معانى المحسوسات فى خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ، ففى الباطن حس مشترك ، وتخيل وتفكير ، وتنكر وحفظ .

أما استبار الناس فيظهر فى قول الغزالى " فإني تتبعـت مدة أحد الخلق أسأل من يقصر منهم فى متابعة الشرع ، وأسائله عن شبـهـته وأبحث عن عقـيـدـته وسرـه ، وقلـت له : " مـالـكـ تـقـصـرـ فـيـهاـ ؟ فإـنـ كـنـتـ تـؤـمـنـ بـالـآخـرـةـ وـلـسـتـ مـسـتـعـداـ لـهـاـ وـتـبـيـعـهاـ بـالـدـنـيـاـ فـهـذـهـ حـمـاـةـ . فإـنـكـ لـأـتـبـعـ الـاثـنـيـنـ بـوـاـحـدـ ، فـكـيـفـ تـبـيـعـ مـاـلـاـنـهـاـيـةـ لـهـ بـأـيـامـ مـعـلـوـدـةـ ؟ .. فـقـائـلـ يـقـولـ : " هـذـاـ أـمـرـ لـوـجـبـ الـمـحـافـظـةـ عـلـيـهـ لـكـانـ الـعـلـمـاءـ أـجـدـرـ بـذـلـكـ وـقـائـلـ ثـانـ يـدـعـىـ عـلـمـ التـصـوـفـ ، وـبـزـعـمـ

(١) المنقذ من الضلال للغزالى : ص ١٣٦ .

أنه قد مبلغاً ترقى عن الحاجة إلى العبادة ! وسائل ثالث يتعلّل ب شبّهة أخرى من شبّهات أهل الإباحة .

ونلاحظ أن الغزالى يذكر آراء من سألهم واحداً واحداً ، ثم يفتّدَ آرائهم ويرد على حججهم الراهية بحجج قوية .

أما مسألة الاستشهاد بالسلف فقد اعتمد عليها من خلال ماتواتر في بطون كتب التراث من أخبار السلف الصالح ، وتمتلىء كتبه كلها بروائع الواقع العظيمة للقدوة الصالحة من أسلافنا المسلمين .

وهي استشهادات تزيد اليقين وتبين حقائق الأمور .

وأما الحديث فإننا نستطيع أن نقول إن بضاعة الغزالى كانت فيه قليلة . . لكنه في السنوات الأخيرة من حياته اهتم بدراسة الحديث النبوى لمعرفة الحديث الصحيح من الصعيف .

وقد أخذ عليه بعض العلماء أنه ترخص في النقل ورواية الأحاديث عن النبي والآثار عن الصحابة وأنه لم يكن يعتبر في بعض المواقع الفاظ الأخبار والآثار لأنه لم يكن يهتم بتحرير الألفاظ كما هي والحقيقة أن بعض العلماء رخصوا في ذكر الحديث بالمعنى دون النص اللفظي مثل عبد الله بن عباس ، وعلي بن أبي طالب ، وأنس بن مالك ، والشافعى ، وابراهيم النخعى ومجاحد وعكرمة .

وقد ورد في المسألة حديث مرفوع رواه ابن مقدمة في معرفة الصحابة والطبراني في " الكبير " ، من حديث عبد الله بن سليمان بن أكلمن الليثى قلت : يارسول الله إني إذا سمعت منك الحديث لا أستطيع أن أرويه كما أسمع منك ، يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً ، فقال إذا لم تحروا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتكم المعنى فلا بأس فذكر ذلك للحسن فقال : « لو لا هذا ماحدثنا » .

ومع ما أخذ عليه من أنه أورد بعض الأحاديث الضعيفة في " الإحياء " فقد خرجها الحافظ العراقي ، وبين أن أكثر ما قيل فيه عن إيراد أحاديث ضعيفة غير مستقيم ، إذ مقصد هذه جميل لا يتعدى حسن ظنه بالذين رواها في كتبهم من قبله ونقل هو عنهم مثل

صاحب قوت القلوب في معاملة المحبوب أبي طالب المكي .

والحقيقة أن الإمام الغزالى رضى الله عنه اهتم بدراسة الحديث فى اخريات حياته وأنه حين عاد إلى موطنـه طوس اجتهد فى دراسة الحديث وقرأتـه ونسخـه ، واستدعاـ إليه الحافظ أبا الفتيان عمر بن أبي الحسن الروأسي فاكرمه واغتنم أيامـه وسمع منه الصحيحـين .

وذكر الحافظ ابن عساكر أنه سمع صحيح البخارى عن أبي إسماعيل الحفصـى .

من مؤلفات الغزالى :

قال ابن السبكي « له في المذهب (أى مذهب الشافعى) البسيط والوسـيط والوجيز والخلاصة وفي سائر العلوم كتاب إحياء علوم الدين ، وكتاب الأربعين ، وكتاب الأسماء الحسـنى ، والمستصفي في أصول الفقه ، والمنخـول في أصول الفقه ألفـه في حـياة أستاذـه إمام الحرمين ، وبداية البدـاية ، والمـاخذ في الخـلافـيات ، وتحصـين المـاخـذ ، وكـيمـاء السـعادـة بالفارسـية والمـتقـدـ من الضـلال ، والبيـان المـتـنـحـلـ في الجـدل ، وشفـاء الغـليلـ في بيان مـسائلـ التـعلـيل ، والاقتـصادـ في الاعـتقـاد ، وعيـارـ النـظر ، ومـحلـ النـظر ، وبيانـ القـولـينـ للـشـافـعـى ، ومشـكـاةـ الـأـنـوارـ ، وـالـمـشـكـاةـ فيـ الرـدـ علىـ الـبـاطـنـيـةـ ، وـتـهـافتـ الـفـلـاسـفـةـ وـالـمـقـاصـدـ فيـ بـيـانـ اـعـتـقـادـ الـأـوـائـلـ (ـوـهـوـ مـقـاصـدـ الـفـلـاسـفـةـ) ، وـالـجـامـ العـوـامـ عنـ عـلـمـ الـكـلـامـ ، وـالـغـاـيـةـ الـقـصـوىـ ، وـجـواـهـرـ الـقـرـآنـ ، وـبـيـانـ فـضـائـ الـإـمامـيـةـ ، وـالـمـختـصـرـ الـأـخـيـرـ ، وـكـتابـ مـيـزـانـ الـعـمـلـ وـكـتابـ أـسـرـارـ مـعـاـمـلـاتـ الـدـيـنـ . وـكـتابـ فـيـصـلـ التـرـقـةـ بـيـنـ إـسـلـامـ وـزـنـدـقـةـ .

ونستطيع الآن أن نلقي الضوء على بعض مؤلفات الغزالى وأهمـها :

١ - كتاب إحياء علوم الدين :

يعد كتاب « الإحياء » للإمام الغزالى من أهم كتب الفكر الإسلامي بما تضمنـه من أفـكارـ ثـرـيـةـ وـأـبـوابـ عـدـيدـةـ شـمـلـتـ الـعـبـادـاتـ وـالـمـعـاـمـلـاتـ وـالـأـخـلـاقـ وـالـتـرـيـبـةـ إـسـلامـيـةـ .

وبالرغم مما أخذه عليه ابن تيمية في فتاويه^(١) وابن الجوزي في المتنظم^(٢) إلا أن كتاب الإحياء يعتبر جامعة روحية عظيمة يستطيع المسلم من خلالها أن يتعرف على روح الإسلام وجوهر العقيدة الإسلامية الصافى .

وما الكتاب تضمن فكر الغزالى الأصيل حتى أنشأ نستطيع أن نقول بلا تحفظ إنه لوذابت كتب الغزالى وبقى « الإحياء » لأنهى هذا الكتاب عن سائر كتبه فهو كتاب يشيع العلم والنور والإيمان والمعرفة ويدعو إلى الأخلاق الفاضلة والأداب الحميدة كما يدعو إلى تزكية النفس وترقيتها حتى تصل إلى مقام الإحسان .

وقد اختصره الغزالى في كتب ورسائل عدة منها الوجيز والمبسوط والمرشد الأمين .

يقول الغزالى : . . . رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب بما في إحياء علوم الدين ، وكشفا عن مناجي الأئمة المتقدمين ، وإيضاحاً لما تناهى العلوم الناقصة عند النبسين والسلف الصالحين^(٣) .

والحقيقة أن هناك مؤلفات عدة قبل كتاب الإحياء تضمنت نفس موضوعات الإحياء مثل كتاب « قوى القلوب » لأبي طالب المكي الذي استمد منه الغزالى الكثير من الأفكار والموضوعات إلا أن كتاب الإحياء تميز عن سائر الكتب التي سبقته في نفس الموضوعات بأشياء عديدة منها حسن التنظيم والتبويب ، وحسن العبارة وجزالتها ، ويسر الأسلوب وبساطته .

ويقول الغزالى نفسه عن غرضه من وضعه « الإحياء » :

« إن الناس من قبله وضعوا كتابا في مثل كتابه هذا ، ولكنها انماز (أى امتاز) عنهم بأمر خمسة وهي : أولا - أنه حل ماعقوبه وكشف ما أجعلوه ، وثانيا - أنه رتب

(١) فتاوى ابن تيمية ج ٢ صفحة ١٩٤ .

(٢) في المتنظم ج ٩ صفحة ١٦٩ - ١٧٠ مطبع دائرة المعارف حيدر آباد وفي كتاب تلبيس إيليس انتقد ابن الجوزي الغزالى وأخذ عليه كثرة الأحاديث الضعيفة . . . ومع ذلك فإن تأثير « الإحياء » عليه كان شيئاً لدرجة أنه اختصر « الإحياء » في كتابه المعروف « مناجي القاصدين » .

(٣) إحياء علوم الدين ج ١ صفحة ٣ طبعة الحلب .

ما بدروه ونظم ما فرقوه وثالثا - أنه أجاز (أى : اختصر) ماطلوبه ، وضبط ما قرروه ، والرابع - حذف ما كرروه وإثبات ما حذروه ، والخامس - تحقيق أمور غامضة ، اعتادت (أى : صعبت) على الأفهام ، ولم يتعرض لها في الكتب مطلقا ، إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستكراً أن ينفرد واحد من السالكين بالتنبيه إلى أمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه . ولقد شفف كثير من العلماء بهذا الكتاب وأعجبوا به إعجابا شديدا حتى بالغوا في مدحه والثناء عليه نظرا لتأثيره القوى في نفوسهم وعقولهم وفكرهم .

يقول الشيخ عبد الغافر الفارسي معاصر الغزالى وزميله في التلمذة على إمام الحرمين الجوينى " إنه من تصانيفه المشهورة التي لم يسبق إليها (١) . ويقول عنه الحافظ العراقي (٢) " إنه من أجل كتب الإسلام (٣) ويقول ابن خلkan وهو من أنفس الكتب وأجمعها (٤) .

وقد رد الغزالى بنفسه على اعترافات أوردها بعض معاصريه علي مواضع من " الإحياء " وذلك في كتابه الإملاء على مشكل الإحياء (٥) .
ويسمى أيضا " الأجوبة المسكتة عن الاستلة المبهنة " .

ودافع عن كتاب الإحياء بعض العلماء مثل الشيخ عبد القادر بن عبد الله العيدروسى يابعلوى صاحب « تعريف الإحياء » بفضل الإحياء (٦) .

(١) كتاب تعريف الأحياء بفضل الإحياء للشيخ عبد القادر بن شيخ العيدروس صفحة ١٥ .

(٢) هو الحافظ الإمام زين الدين أبو الفضل ، المعروف بالعرّاقى ، صاحب الألفية في مصطلح الحديث وهو الذي خرج أحاجيث الإحياء .

(٣) كتاب تعريف الإحياء ... صفحة ١٤ .

(٤) وفيات الأعيان ج ٢ صفحة ٣٥٤ .

(٥) طبع مع كتاب « اتحاف السادة المتدين » المرتضى طبعة القاهرة ٢١١ م ، وعلى هامش بعض طبعا الإحياء بالقاهرة .

(٦) « تعريف الأحياء بفضل الإحياء » لعبد القادر العيدروس المتوفى سنة ١٠٣٨ هـ - ١٦٢٨ م وقد طبع هذا الكتاب على هامش بعض طبعات كتاب الإحياء طبعة القاهرة .

ونظراً لأهمية كتاب "الإحياء" فقد شرحته المرتضى في «اتحاف السادة المتقيين» (١) .

ووضع للإحياء عدة تلخيصات من أهمها «باب إحياء علوم الدين» (٢) لأخي الغزالى أحمد الملقب بأبى الفتوح احمد بن محمد الغزالى المتوفى بقرزون سنة عشرين وخمسين .

و«المرشد الأمين إلى موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» (٣) لجمال الدين محمد بن محمد سعيد بن صالح القاسمى الدمشقى و«صفوة الأحياء» لحمود على قراءة (٤)

محتويات كتاب الإحياء :

كتاب الإحياء مؤلف من أربعة أجزاء (العبادات، والعادات والمهلكات والمنجيات) . وكل قسم من هذه الأقسام مقسم إلى عشرة كتب . والقسم الأول للعبادات وهو يشتمل على كتاب العلم وكتاب قواعد العقائد وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ومهماتها ، وكتاب أسرار الزكاة وكتاب أسرار الصوم ، وكتاب أسرار الحج ، وكتاب أداب تلاوة القرآن ، وكتاب الأذكار والدعوات ، وترتيب الأوراد في الأوقات . وتفصيل إحياء الليل .

ووضع الغزالى قسماً للعادات : يشتمل على كتب في الأكل ، وأداب الزواج وأحكام الكسب والمعاش ، والحلال والحرام ، وأداب الصحابة والعاشرة مع أصناف الخلق ، والعزلة ،

(٧) «اتحاف السادة المتقيين بشرح أسرار إحياء علوم الدين لحمد بن محمد بن الحسين المرتضى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ - ١٧٩١ م . وقد طبع في فاس عام ١٢٠١ هـ - في ١٢ جزءاً ، وفي القاهرة عام ١٣١١ هجرية في عشرة أجزاء .

(٨) «باب إحياء علوم الدين» لأحمد الغزالى طبع على هامش كتاب "نزهة الناظرين" لعبد الملك بن المنير تقي الدين اليابى الحلبي ١٢٠٨ هـ ، و١٣٢٨ هـ .

(٩) «المرشد الأمين . . .» للقاسمى الدمشقى في جزعين مطبع في القاهرة ١٣٣١ هـ ، ١٣٤٨ هـ ، ١٩٢٩ م

(١٠) «صفوة إحياء» لحمود على قراءة - طبع بالقاهرة ١٩٣٥ م .

وأدب السفر ، والسمع ، والوجود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأدب المعيشة وأخلاق النبوة .

ووضع الغزالى قسماً للمهلكات : ويشتمل على كتب في شرح عجائب القلب ، ورياضية النفس ، وتهذيب الأخلاق وأفات الشهويتين شهوة البطن وشهوة الفرج ، وأفات اللسان ، وأفات الغضب ، والحدق والحسد ، ونم الدنيا ونم المال والبخل ، ونم الجاه والرياء ، ونم الكبير والعجب ونم الغرور .

وكذلك وضع الغزالى قسماً للمنجيات : ويحتوى على كتب في التوبية ، والصبر والشكرا ، والخوف والرجاء ، والفقر والزهد والتوحيد والتوكيل ، والمحبة والشوق والأنس والرضا ، والنية والصدق والإخلاص ، والمراقبة والمحاسبة والتفكير وذكر الموت وما بعده .

و الحديث عن الصلاة من أروع ما يكتب في هذا الموضوع فقد عرض روح الصلاة الخاسعة المتوجهة إلى الله تعالى في حضور قلب ، وطمأنينة نفس ، ذلك أنه في إحياء علوم الدين يهتم اهتماماً بالغاً بأعمال القلب لا أعمال الجوارح فيركز على خفاياها و دقائق المعانى وأسرارها .

« فَإِنَّمَا رَبِيعُ الْعِبَادَاتِ فَإِذَا كُرِّرَ فِيهِ مِنْ خَفَايَا أَدَابِهَا وَدِقَائِقِ سُنْنَهَا وَأَسْرَارِ مَعَانِيهَا مَا يُضطَرُّ الْعَالَمُ الْعَامِلُ إِلَيْهِ بَلْ لَا يَكُونُ مِنْ عُلَمَاءِ الْآخَرِ مَنْ لَا يَطْلَعُ عَلَيْهِ ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ مَا اهْمَلَ فِي فَنِ الْفَقَهِيَّاتِ » (١) .

وفي حديثه عن الصلاة يتناول الشروط الباطنة من أعمال القلب ويبين ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم يذكر المعانى الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها .

ويذكر كذلك تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة .

ويرى الغزالى أن حضور القلب هو روح الصلاة : فالمصلى مناج ربه سبحانه وتعالى والذكر في الصلاة مع الغفلة ليس بمناجاة . . « وَلَا يَكُونُ نَطْقًا إِلَّا إِذَا أَعْرَبَ عَمَّا فِي

(١) الإحياء .. ح ١ صفحة ٣

الضمير ، ولا يكون معربا إلا بحضور القلب ، فلئن سُئل في قوله (اهدا الصراط المستقيم) إذا كان القلب غافلا ؟ وإذا لم يكن يقصد كونه تضرعا ودعاء فلئن مشقة في تحريك اللسان به مع الغفلة لاسيما بعد الاعتياد . . ولا شك أن المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء ، والمخاطب هو الله عز وجل وقلب المصلى بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاحة التي شرعت لتصفي القلب وتجدد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به » (١) .

ويكاد يبطل الغزالى الصلاة إذا لم يحضرها القلب فهو يشترط حضور القلب شرطا لصحتها مخالفًا بذلك إجماع الفقهاء فإنهم لم يشترطوا حضور القلب إلا عند التكبير فقط . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن العبد المصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاتة ما عقل منها » (٢) .

وحقيقة أنه من الصعب على الإنسان أن يكون حاضر القلب في كل صلاة وطوال الصلاة كلها ولهذا يقول :

« وهمة الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة إليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر ولرارته استبشرته الطياع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى أن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فإذن لامطعم فيه لأمثالنا ، وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثتها من الوسواس لكنهن من خلط عملا صالحًا وأخر سيئًا .

وقد بين الغزالى المعاتى الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة وجمعها في ست جمل وهي : حضور القلب ، والتفهم ، والتعظيم والهيبة والرجاء والحياة .

(١) الإحياء ج ١ ص ١٦٠ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه .

وقصد بحضور القلب أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقوينا بها ، ولا يكون الفكر جائلاً في غيرها . . ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب ، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ ، فاشتمال القلب على العلم بمعنى: اللفظ هو الذي أرداه بالتفهم .
وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظمًا له فالتعظيم زائد عليهما .

وأما الهيبة فزائدة على التعظيم ، والهيبة خوف مصدرها الإجلال ، وأما الرجاء فلا شك أنه زائد . . . والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله عزوجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عزوجل ، وأما الحياء فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار وتوهم ذنب ولا يتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصيره وارتكاب ذنب .

« ولكل درجات مما عملوا » فحفظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم : يحشر الناس يوم القيمة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ، ولقد صدق فإنه يحشر كل على ما مات عليه ويموت عليه ويموت على ما عاشه عليه ، ويراعى في ذلك حال قلبه لحال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم » (١) .

ويبيّن لنا الغزالى التوازن الناجع في حضور القلب ، ودفع الخواطر التي تشغل الإنسان أثناء صلاته ويقول « وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطناً .

أما الخارج فما يقع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف **الهم** حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تتجزأ الفكرة إلى غيره ويتسلسل ، ويكون الإبصار سبباً لافتقار ، ثم

(١) الإحياء ج ١ ص ١٦١ : ١٦٣ .

تصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض ، ومن قوتها نيتها وعلت همتها لم يلهمه ماجرى على حواسه ولكن الضعف فلابد أن يتفرق به فكره ، وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره أو يصلى في بيته مظلماً أولاً بترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ، ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي الموضع المنقوشة المصنوعة وعلى القرش المصبوغة . . . وأما الأسباب الباطنة فهي أشد ، وبعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحرير بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المتألهة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وهو المطلع ويفرغ قلبه قبل التحرير بالصلاحة مما يهمه فلابترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره » (١) .

مكذا نلاحظ النظرة النفسية العميقة داخل عقل المصلي يقدمها لنا الغزالى فإنه يبين أثر قوة تداعى أفكار المصلى من خلال نوافذ البصر والسمع اللذين يؤديان إلى انشغال العقل وعدم حضور القلب وغفلته ، ثم يبين لنا أن غض البصر وكفه في أثناء الصلاة أو الصلاة في الظلام حيث أن الأضواء المبهرة قد تساعده على شغل النفس بها كما أن الصلاة على السجاجيد المزركشة والملونة قد يشغل الإنسان عن روح الصلاة .

ولقد كان الغزالى رائداً في هذه النظرة النفسية العميقة حين أشار إلى العوامل الخارجية التي تساعده على عدم حضور القلب في الصلاة والعوامل الداخلية ويعنى بها انشغال الإنسان بهمومه الجوانية والبرانية عن حقيقة روح الصلاة .

وكان اهتمام الغزالى كبيراً بـ « علم القلوب » وسماه « علم الآخرة » في مقابل « علم الدنيا » وسماه « علم اليقين » كذلك .

وهو لم يجرح على الإطلاق الفقهاء الأربعه فهم في نظره علماء بالأخره بالإضافة إلى علمهم بالفقه .

وإنما نقد من أتى بعدهم من اقتدى بفهمهم وحده دون علمهم فيقول « ما ذكرناه ليس طعنا فيهم (أى في الآئمة) بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلاً مذاهبهم وهو

(١) الإحياء ج ١ ص ١٦٣ وص ١٦٤ .

مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم » (١) .

ويعتبر الغزالى أن من أهم وظائف الفقه الدينية ، وظيفته السياسية والحياتية فنتيجة لتنازع الشهوات كما يقول الإمام الغزالى تولدت الخصومات بين الناس « فمسن الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به ، فالفقىء هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقىء معلم السلطان ومرشدء إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لتنظم باستقامتهم بأمور الدنيا .

وكما أن سياسة الخلق بالسلطة ليست من علم الدين في الدرجة الأولى .. فكذلك معرفة طريق السياسة (أى الفقه) .. وحاصل فمن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة » (٢) فالفقىء يهتم بالأمور الظاهرة للعبادات فيحكم الفقىء بصححة الإسلام باللسان تحت ظلال السيف دون القلب مع أنه يعلم أن السيف لم يظهر له حقيقة نيته وسر طويته في ذلك (اعلم أن أقرب ما يتكلم الفقىء فيه من الأعمال التي هي من أعمال الآخرة ثلاثة : الإسلام والصلة والزكاة والحلال والحرام) .

فإذا تأملت منتهى نظر الفقىء فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة ، وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر ، أما الإسلام فيتكلم الفقىء فيما يصبح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتقت فيه إلا إلى اللسان ، وأما القلب فخارج عن ولاية الفقىء لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيف والسلطنه عنه حيث قال « هلا شققت عن قلبه » (٣) للذى قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف ، بل يحكم الفقىء بصححة الإسلام تحت ظلال السيف ، مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مثير على صاحب السيف فإن السيف ممتد إلى ماله وهذه الكلمة باللسان تقضم رقبته وما له مادام له رقبة ومال ، وذلك في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله

(١) الإحياء : ج ١ صفحة ٢٤ .

(٢) الإحياء ج ١ ص ١٧ ، ص ١٨

(٣) أخرجه مسلم من حديث أسامة بن زيد .

إلا الله فإن قالوها فقد عصموها مني دماغهم وأموالهم ^(١) ، وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك من النقه ^(٢) .

أما الآخرة فموضوع علماء الآخرة .. علماء القلوب والمعاملة والمكافحة إنهم أصحاب علم اليقين ولعل أهم صفة لعالم الآخرة «أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين » .. ^(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليقين الإيمان كله » ^(٤) .

موقف الغزالى من العلماء ورجال الدين :

يرى الغزالى أن فساد الشعوب والأمم يقع في المقام الأول على العلماء ورجال الدين، لأن العلماء ملح الأمة، وإذا فسد الملح فما الذي يصلحه.

يامعشر القراء ياملح البلد .. ما يصلح الملح إذا الملح فسد؟

ويرجع الغزالى فساد الحكام والملوك والعمال والرعاية إلى سوء العلماء والقضاة وفسادهم يقول : « بالجملة إنما فساد الرعاية بفساد الملوك ، وفساد الملوك لفساد العلماء ، فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك ، خوفا من انكارهم » ^(٥) .

ويقرع الغزالى العلماء ويفضح الذين يتلقاعسون عن أداء فريضة الأمر بالمعروف ويبين أنهم وقعوا في حب الدنيا وطلب المزلة الرفيعة والجاه والشهرة ونظروا إلى عطاء الملوك والأمراء ونسوا أن الله تعالى هو الرزاق وأن العطاء عطاوه ، وأن الأعمار بيده لا بيد الحكام والملوك ، وبعد أن يقدم قصصا من التاريخ الإسلامي تبين شجاعة علماء السلف وقولهم كلمة الحق في وجه الحكام والملوك دون خشيتهم يقول :

« وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا ، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة وعمرو وابن عمر .

(٢) الإحياء ص1 ج1 .

(٣) الإحياء ج 1 صفحه ٧٢ .

(٤) أخرجه البيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بإسناد حسن .

(٥) الإحياء ج 2 ص ١٣٢ .

أحوالهم فلم ينجحوا ، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا ففساد الرعاعي بفساد الملوك ، وفساد الملوك بفساد العلماء ، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل ، فكيف على الملوك والأكابر ؟ والله المستعان على كل حال . (١)

إن الغزالى وضع أصبهعه على أحد أسرار فساد الشعب والأمم .. إنهم العلماء حين يستولى عليهم حب المال والجاه والدنيا والطمع فيما في أيدي الناس والحكام .. حين ينصرفون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الانشغال بالأمور الحياتية .. ويدلا من الخوف من الله خافوا من الناس ، وسطوة الحكام ، فظلموا الناس وظلموا أنفسهم وأفسدوا الملوك والرعية ، فالتبعة في ذلك تقع على علماء الدين لأنهم ملح الأمة ، وإذا فسد الملح فما الذي يصلحه .

ويهتم الغزالى بعمل العالم وسلوكيه فينبغي أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشىء مالم يكن هو أول عامل به ، قال تعالى « أتأمرن الناس بالبر وتنسون أنفسكم » وقال تعالى : « كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تتعلون » ، وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : " ويل من لا يعلم مرة وويل من يعلم ولا يعمل سبع مرات " وصدق من أنسد :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا اذ عيت منهم أموراً أنت تائثها
 أصبحت تتصلهم بالوعظ مجتها فالمؤيقات لعمري أنت جانبيها
 تعيب دنيا وناساً راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها
 وقال آخر :

لا تته عن خلق وتأتي مثله .. . عار عليك إذا فعلت عظيم
 والغزالى يرى أن من أهم آفات علماء السوء إثبات العلماء الأمراء والحكام ، ويستشهد في ذلك بطائفة من أقوال الصالحين ويعلق عليها فيقول : قال أبو ذر لسلامة :

ياسلة لاتغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئاً من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه ، وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذرية صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه : أن في عذرك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخلي إليه أن الدخول عليهم من الدين ، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويخرض في الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين .
وكان يقال : " العلماء إذا علموا عملاً ، فإذا عملوا شغلوا ، فإذا شغلوا فقدوا ، فإذا فقدوا طلبوا ، فإذا طلبوا هربوا " . (١)

كذلك يرى الغزالى أن من آفات علماء السوء المسارعة إلى الفتيا والإجابة دون تحقيق أو روية على كل استفسار خشية أن يتم بالجهل وعدم المعرفة .. يقول لغزالى « .. منها أن لا يكون مسارعاً إلى الفتيا بل يكون متوقفاً ومحرزاً ما وجد إلى الخلاص سبيلاً ، فإن سئل عما يعلمه تحقيقاً بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلى أفتى ، وإن سئل عما يشك فيه قال : لأندرى وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخير العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنة قائمة ، ولا أندرى (٢) قال الشعبي لا أندرى نصف العلم ومن سكت حيث لا يدرى لله تعالى فليس بأقل أجرًا من تطرق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضى الله عنهم » . (٣)

ويقول الغزالى : " كان ابن عمر رضى الله عنهم يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويُسكت عن تسعة وكان ابن عباس رضى الله عنهم يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن تسعة ويُسكت عن واحدة ، وكان في الفقهاء من يقول « لأندرى » أكثر ممن يقول « أندرى » منهم سفيان الثورى ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل بن عياض ويسير بن

(١) الإحياء ج ١ ص ٦٩ .

(٢) أخرجه الخطيب في أسماء من روى عن مالك موقوفاً على ابن عمر ، ولابن داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً نحوه مع اختلاف .

(٣) الإحياء ج ١ ص ٧٠ .

انحرث «(١)

وكان بعض العلماء يحللون أخذهم عطايا الأمراء والحكام بقولهم إن كثيراً من السلف والتابعين قبلوا أموال الأمراء وهباتهم وعطياتهم .

ولكن الغزالى يبين مدى اجتراء هؤلاء العلماء على الحق ويكشف مدى خسالهم وخبطهم ، ويفضح قياسهم الخاطئ حين يقول . إن الظلمة فى العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين - كانوا مستشعرين من ظلمهم ، ومتشوقين إلى استعمال قلوب الصحابة والتابعين ، وحربيصين على قبولهم عطياتهم وجوازهم وكانوا يبعثون إليهم من غير سؤال وإذلال ، بل كانوا يتقلدون الملة بقبولهم ويفرجون به ، وكانتوا يأخذون منهم ويفرقون ، ولا يطيعون السلاطين فى أغراضهم ولا يغشون مجالسهم ، ولا يكررون جمعهم ، ولا يحبون بقائهم ، بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان ، وينكرون المنكرات منهم عليهم ، فما كان يحضر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ، ولم يكن يأخذهم بأس .

فأما الآن ، فلا تسمح نقوس السلاطين بعطيته إلا من طمعوا فى استخدامهم والتکثر بهم ، والاستعانت بهم على أغراضهم ، والتجمل بغشيان مجالسهم ، وتکليفهم المواظبة على الدعا والثناء ، والتزكية والإطراء فى حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال أولاً ، والتردد فى الخدمة ثانياً والثناء والدعا ثالثاً ، والمساعدة له على أغراضه عند الاستعانت رابعاً ويتکثّر جمعه فى مجلسه وموكيه خامساً ، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة له على أعدائه سادساً ، وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساويه أعماله سابعاً ، لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان فى فضل الشافعى رحمة الله مثلاً ، فإذاً لا يجوز أن يأخذ منهم فى هذا الزمان ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه ، فمن استجرأ على أموالهم وشبّه نفسه بالصحابة والتابعين ، فقد قاس الملائكة بالحدادين (٢) .

وهذه صرخة حق مدوية يعلنها الغزالى فى وجه كل حاكم ظالم وكل عالم مداهن متفاق

(١) الإحياء جـ ١ ص ٧٠ .

(٢) الإحياء جـ ٢ ص ١٢٢ وص ١٢٣ .

يتكتسب من هؤلاء الحكام الظلمة . . بل أكثر من ذلك فإن الغزالى يطالب العلماء ببغض الظلمة وكراهة بقائهم واعتزال المقربين إليهم والمتصلين بهم « فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقائهم ، ولا يشئ عليهم ، ولا يستخير عن أحوالهم ، ولا يتقرب إلى المتصلين بهم »^(١) .

ويضرب الغزالى أمثلة ونماذج قدوة من العلماء الراشدين مثل **المحدث الفقيه سفيان الثورى** وما حديث له مع **هارون الرشيد** ، فعن أبي عمران الجوني^(٢) قال : لما ولى هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فنهوه بما صار إليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنوية ، وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد ، وكان يظهر النسك والتقوش ، وكان مؤاخيا لسفيان بن سعد بن المنذر الثورى قدימה فهجره سفيان ولم يزره ، فاشتاق هارون إلى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه ، فاشتد ذلك على هارون فكتب إليه كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر ، أما بعد . يا أخي ، قد علمت أن الله تبارك وتعالى أخي بين المؤمنين ، وجعل ذلك فيه وله وأعلم أنني قد وآخيتك مواحاة لم أصرم بها حبك ، ولم أقطع منها ودك ، وإن منطوك على أفضل المحبة والإرادة ، ولو لا هذه القلادة التي قلدتها الله لأنتيك ولو حبوا لما جد لك في قلبي من المحبة وأعلم يا أبا عبد الله أنه مابقى من إخوانى وإخواتك أحد إلا وقد زارنى وهنائى بما صرت إليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنوية ما فرحت به نفسى وقررت به عينى ، وأنني استبطئتك فلم تأتني ، وقد كتبت لك كتابا شوقاً مني إليك شديداً ، وقد علمت يا أبا عبد الله ماجاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته ، فإذا ورد عليك كتابي فالعدل العجل ، فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا كلهم يعرفون سفيان الثورى وخشوونته فقال : على بِرْجَلٍ من الباب ، فأندخل عليه رجل يقال له عباد الطالقانى ، فقال : يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بنى ثور ، ثم سل عن سفيان الثورى فإذا رأيته فاتّق

(١) الإحياء ج ٢ ص ١٢٨ .

(٢) الإحياء ج ٢ ص ٢٥٣ - ص ٢٥٥ .

كتابي هذا إليه وع ، بسمك وقلبك جميع ما يقول فما حصل عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به ، فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد إليها ثم سأله عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال عباد : فاقتلت إلى المسجد فلما رأته قام قائما وقال : أعود بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير . قال عباد : فوquette الكلمة في قلبي فجرحت ، فلما رأته نزلت بباب المسجد قام يصلى ولم يكن وقت صلاة ، فريطت فرسى بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته ، فسلمت فما رفع أحد إلى رأسه وردو السلام على برعوس الأصابع ، فبقيت واقفاً فما منهم أحد يعرض على الجلوس وقد علني من هبّتهم الرعدة ومدت عيني إليهم فقلت إن المصلى هو سفيان فرمي بالكتاب إليه ، فلما رأى الكتاب ارتعى وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه ولنها بعباته واخذه فقلبه بيده ثم رماه إلى من كان خلفه وقال : يأخذ بعضكم يقرفه فإني استغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده ، قال عباد : فأخذه بعضهم فحـله كأنه خائف من قـ حـة تـهـشـهـ ، ثم فـضـهـ وـقـرأـهـ ، وأقبل سـفـيـانـ يتـبـسـمـ تـبـسـمـ المـتعـجـبـ فـلـمـ فـرـغـ مـنـ قـرـاءـتـهـ قالـ : اـقـلـبـوـهـ وـاـكـتـبـوـ إـلـىـ الـظـالـمـ فـيـ ظـهـرـ كـتـابـهـ ، فـقـيلـ لـهـ : يـأـبـاـ عـبـدـ اللـهـ أـنـهـ خـلـيـفـةـ فـلـوـ كـتـبـتـ إـلـيـهـ فـيـ قـرـطـاسـ نـقـىـ ، فـقـالـ : اـكـتـبـوـ إـلـىـ الـظـالـمـ فـيـ ظـهـرـ كـتـابـهـ فإنـ كـتـابـهـ مـنـ حـلـلـ فـسـوـفـ يـجـزـىـ بـهـ ، وإنـ كـانـ اـكـتـسـبـهـ مـنـ حـرـامـ فـسـوـفـ يـصـلـىـ بـهـ وـلـيـقـىـ شـىـءـ مـسـهـ ظـالـمـ عـنـنـاـ فـيـقـسـدـ عـلـيـنـاـ دـيـنـاـ ، فـقـيلـ لـهـ : مـاـ نـكـتـبـ ؟ـ فـقـالـ اـكـتـبـوـ : بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ ، مـنـ الـعـبـدـ الـذـنـبـ سـفـيـانـ بـنـ سـعـيـدـ بـنـ الـمـنـذـرـ الـثـورـىـ إـلـىـ الـعـبـدـ الـمـغـرـورـ بـالـأـمـالـ هـارـونـ الرـشـيدـ الـذـىـ سـلـبـ حـلـوةـ الإـيمـانـ ، أـمـاـ بـعـدـ : فـإـنـيـ قـدـ كـتـبـتـ إـلـيـكـ أـعـرـفـكـ أـنـيـ قـدـ حـرـمـتـ حـبـلـكـ ، وـقـطـعـتـ وـدـكـ وـقـلـبـتـ مـوـضـعـكـ فـإـنـكـ قـدـ جـعـلـتـنـىـ شـاهـداـ عـلـيـكـ بـإـقـرـارـكـ عـلـىـ نـفـسـكـ فـيـ كـتـابـكـ بـمـاـ هـجـمـتـ بـهـ عـلـىـ بـيـتـ مـالـ الـمـسـلـمـينـ فـانـفـقـتـهـ فـيـ غـيرـ حـقـهـ وـأـنـفـقـتـهـ فـيـ غـيرـ حـكـمـهـ ، ثـمـ لـمـ تـرـضـ بـمـاـ فـعـلـتـهـ وـأـنـتـ نـاءـ عـنـ حـتـىـ كـتـبـتـ إـلـىـ تـشـهـدـنـىـ عـلـىـ نـفـسـكـ ، أـمـاـ أـنـيـ قـدـ شـهـدـتـ عـلـيـكـ أـنـاـ وـإـخـوانـيـ الـذـينـ شـهـدـوـاـ قـرـاءـةـ كـتـابـكـ ، وـسـنـؤـدـيـ الشـهـادـةـ عـلـيـكـ غـداـ بـيـنـ يـدـيـ اللـهـ تـعـالـىـ ، يـاـ هـارـونـ هـجـمـتـ عـلـىـ بـيـتـ مـالـ الـمـسـلـمـينـ بـغـيرـ رـضـاهـمـ ، هـلـ

رضي يفعلن المؤلفة قلوبهم ، والعاملون عليها في أرض الله تعالى المجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ؟ أم رضي بذلك خلق من رعيتك ؟ فشد ياهارون مثرك وأعد للمسألة جواباً للبلاء جليباً ، وأعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل ، فقد رزئت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيد القرآن ومجالسة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظسالماً والظالمين إماماً ، ياهارون ، قعدت على السرير ، وليس التحرير ، وأسلبت ستراً دون بابك وتشبهت بالحجية برب العالمين ، قد أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك ، وسترك يظلمون الناس ، ولا ينصرون ؟ يشربون الخمور ويضربون من يشربها ، ويزنون ويجللون الزانى ؟ ويسرقون ويقطعون يد السارق أفلأ كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس ؟ فكيف بك ياهارون غداً إذا نادى المنادي من قَبْلِ الله تعالى : (احشروا الذين ظلموا وأذاجهم) أى الظلمة وأعوان الظلمة ، فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنفك لا ينكهما إلا عدك وإنصافك ، والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ، كأنك ياهارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق ، وأنت ترى حسناًك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانتك زيادة عن سيئاتك ، بلاه على بلاه ، وظلمة فوق ظلمة ، فاحتظر بوصيتي واتعظ بوعظتي التي وعظتك بها ، وأعلم أنى قد نصحتك وما أبقيت لك في النصح غاية ، فاتق الله ياهارون في رعيتك واحفظ مهداً صلٰى الله عليه وسلم في أمته ، وأحسن الخلافة عليهم ، وأعلم أن هذا الأمر لو بقى لغيرك لم يصل اليك وهو صالح إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحداً بعد واحد فمنهم من تزود زاداً نفعه ومنهم من خسر دنياه وأخرته ، فإياك أن تكتب لي كتاباً بعد هذا فلا أجيك عنه والسلام .

قال عباد : فائلق إلى الكتاب منشوراً غير مطوى ولا مختوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعضة من قلبي ، فناديت يا أهل الكوفة ، فأجابوني ، فقلت لهم : يا قوم ، من يشتري رجلاً هرب من الله إلى الله ، ؟ فاقبلوا إلى بالدنانير والدرام ، فقلت : لاحاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية ، قال : فأتيت بذلك وزرعت مكان على من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين ، وأقبلت أقوه البردون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت بباب أمير المؤمنين هارون حافياً راجلاً ، فهرأ بي من

كان على باب الخليفة ، ثم استؤذن لى ، فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقعد ، ثم قام قائماً وجعل يلطم رأسه وجهه ويبدع بالويل والحزن ويقول : انتفع الرسول وحباب المرسل ، مالي وللنديا ؟ ، مالي ومالك ينزل عن سريعا ؟ ثم ألقى الكتاب إليه منشروا كما دفع إلى ، فأتى هارون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه ، ويقرأ ويشهق ، فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلوجهت إليه فائنته بالحديد وضيق عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره ، فقال هارون : اتركنا يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه ، والشقي من أهلكتعموه ، وإن سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه ، ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هارون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفى رحمة الله ، فرحم الله عبداً نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غداً من عمله ، فإنه عليه يحاسب ، وبه يجازى والله ولـى التوفيق .

وعن عبد الله بن مهران قال : حجـ الرشـيد فـوافـي الـكـوفـة فـأقامـ بـها أـيـاماً ثـم ضـربـ بالـرـحـيلـ ، فـخـرـجـ النـاسـ ، وـخـرـجـ بـهـلـولـ الـمـجـنـونـ فـيـمـنـ خـرـجـ بـالـكـنـاسـةـ وـالـصـبـيـانـ يـؤـنـونـهـ وـيـوـلـعـونـ بـهـ ، إـذـ أـقـبـلـتـ هـوـادـجـ هـارـونـ فـكـفـ الصـبـيـانـ عـنـ الـوـاـوـعـ بـهـ ، فـلـمـ جـاءـ هـارـونـ نـادـىـ بـأـعـلـىـ صـوـتـهـ : يـاـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ ، فـكـشـفـ هـارـونـ السـجـافـ بـيـدـهـ عـنـ وـجـهـهـ فـقـالـ : لـيـكـ يـاـبـهـلـولـ ، فـقـالـ : يـاـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ ، حـدـثـنـاـ أـيـمـنـ بـنـ نـاثـئـ عـنـ قـدـامـةـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ الـعـامـرـىـ قـالـ : رـأـيـتـ النـبـىـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـصـرـفـاـ مـنـ عـرـفـةـ عـلـىـ نـاقـةـ لـهـ إـلـيـكـ (١) وـتـوـاضـعـكـ فـيـ سـفـرـكـ هـذـاـ يـاـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ خـيـرـ لـكـ مـنـ تـكـبـرـكـ وـتـجـبـرـكـ ، قـالـ : فـبـكـىـ هـارـونـ حـتـىـ سـقـطـتـ دـمـوعـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ ، ثـمـ قـالـ : يـاـبـهـلـولـ زـيـدـ رـحـمـ اللـهـ قـالـ نـعـمـ يـاـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ ، رـجـلـ آتـاهـ اللـهـ مـاـلـاـ وـجـمـالـاـ فـأـنـفـقـ مـاـلـهـ وـعـفـ فـيـ جـمـالـهـ كـتـبـ فـيـ خـالـصـ دـيـوانـ اللـهـ تـعـالـىـ مـعـ الـأـبـرـارـ ، قـالـ : أـحـسـنـتـ يـاـبـهـلـولـ ، وـدـفـعـ لـهـ جـائـزـةـ فـقـالـ : أـرـدـدـ جـائـزـةـ إـلـىـ مـنـ أـخـذـتـهـ مـنـهـ فـلـاـ جـاجـةـ لـىـ فـيـهـ ، قـالـ : يـاـبـهـلـولـ فـيـنـ كـانـ عـلـيـكـ دـيـنـ قـضـيـاهـ ، قـالـ يـاـمـيـرـ

(١) حـدـثـ قـدـامـةـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ الـعـامـرـىـ : رـأـيـتـ النـبـىـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـصـرـفـاـ مـنـ عـرـفـةـ عـلـىـ نـاقـةـ لـهـ صـهـيـاءـ لـأـضـرـبـ وـلـأـطـرـدـ وـلـإـلـيـكـ إـلـيـكـ . أـخـرـجـهـ التـرمـذـىـ وـصـحـحـهـ وـالـنـسـانـىـ وـابـنـ مـاجـهـ بـوـنـ قـوـلـهـ مـنـصـرـفـاـ مـنـ عـرـفـةـ وـإـنـعـاـ قـالـواـ : يـرـمىـ الـجـمـرـةـ ، وـهـوـ الصـوابـ .

المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متواجرون قد اجتمعوا أن قضاء الدين بالدين لا يجوز - قال : يا بهلول فنجرى عليك ما يقوتك أو يقيك ، قال : فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال : يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينسانك ، قال : فأسبل هارون السجاد ومضى .

وفي فقرة اتصاله الوثيق بالقاعدة العريضة من المجتمع الإسلامي الذي كان يعيش فيه استطاع الغزالى أن يعرف عادات الحياة وتقاليدها وأساليبها الحياة في هذه البيئات ، ووضع يده على عيوب الطبقات المختلفة ووضع في "إحياء علوم الدين" باباً كاملاً هو الباب الثالث من كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر^(١) ، فتحدى من خلاله عن المنكرات المأثورة في العادات مثل منكرات المساجد ، ومنكرات الأسواق ومنكرات الشوارع ومنكرات الضيافة والمنكرات العامة .

وفي الكتاب الثامن من الربع الرابع من ربعة المنجيات من "إحياء علوم الدين" يتحدث الغزالى عن توبیخ النفس ومعاتبتها حديث عالم النفس الخبير بالنفوس البشرية وما أروع حديثه حين يقول^(٢) « وإن لازمتها بالتوبیخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ، ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية ، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتعلن بوعظ غيرك مالم تشتعل أولاً بوعظ نفسك ، أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم ، عظ نفسك ، فإن اتعظت فعظ الناس ألا فاستحى مني ، وقال تعالى : « وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين » وسبيلك أن تقلل عليها فتقرر عندها جهلها وغباؤتها وإنها أبداً تتعرّز بفقطتها وهدايتها ، ويشتد أثفها واستنكافها إذا نسبت إلى الحمق فتقول لها : يانفس وأعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفهمة وأنت أشد الناس غباء وحمقاً ، أما تعرفين مابين يديك من الجنة والنار وأنك أشد الناس غباء وحمقاً ، أما تعرفين مابين يديك من الجنة

(١) وهو الكتاب التاسع من ربعة العادات الثاني .

(٢) الإحياء ج٢ صفحه ٤١٦ و ٤١٧ .

والنار وأنك حسائرة إلى أحداها على القرب ؟ فمالك تفرجين وتضحكين وتشتغلين بالله وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين أو غدا ، فأراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا ؟ أما تعلمين أن كل ما هو أقرب وأبعد ماليس بآت ؟ أما تعلمين أن الموت يأتي بفترة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطأة وأنه لا يأتي في شيء دون شيء ولا في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا يأتي في الصبا دون الشباب ولا في الشباب دون الصبا بل كل نفس من الأنفاس يمكن أن يكون فيه الموت فجأة فإن لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة ثم يفضي إلى الموت فما لك لا تستعددين للموت ، وهو أقرب إليك من كل قريب ؟ أما تتدبرين قوله تعالى (اقترب الناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتיהם من ذكر من ربهم من محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم) ويحك يانفس إن كانت جرائمك على معصية الله لا عتقادك أن الله لا يراك فما أعظم كفرك وإن كان مع علمك باطلاعه فما أشد وقاحتك وأقل حياءك ، ويحك يانفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من أخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتلك له فبأى جسارة تتعرضين لقت الله وغضبه وشديد عقابه افتقدن أنك تطبقين عذابه ميهات ميهات ، جربى نفسك إن ألهاك البطر عن أليم عذابه فاحتسبى ساعة في الشمس أو في بيت الحمام أو قربى إصبعك من النار ليتبين قدر طلاقتك ؟ أم تغتررين بكلم الله وفضله واستغناه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك ، فإذا قصدك عنو فلم تستطعين الحيل في دفعه ولا تكلينه إلى كرم الله تعالى ، وإذا أرهقتك حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضى إلا بالدينار والدرهم فما لك تتزعن الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز أو يسخر عبدا من عبده فيحمل إليك حاجتك من غير سعير منك ولا طلب ؟ أفتحسبين أن الله كريم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت أن سنته الله لا تبدل لها وأن رب الآخرة والدنيا واحد وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، ويحك يانفس ما أعجب مقاولك ودعوك الباطلة فإليك تدعين الإيمان بسلانك وأثر التفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك : (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) وقال في أمر الآخرة (وأن ليس للإنسان إلا ماسعى) فقد تكفل لك

يأمر الدنيا خامس وصرفك عن السعي فيها فكتبه بأفعالك وأصبحت تتكلبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ، ووكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراض المغدور المستحقر ، ما هذا من علامات الإيمان لو كان الإيمان باللسان فلم كان المنافقون فيدرك الأسفل من النار ؟ ويحك يا نفس كأنك لاتؤمنين ببيوم الحساب وتظنين أنك إذا مت انقلت وتخلصت وهيئات أتحسبين أنك تتركين سدى .

ويرى الدكتور عبد الرحمن بنوي أن هناك آثراً يونانياً في باب « توبیخ النفس » ومعاتبتها » في كتاب المراقبة والمحاسبة من « إحياء علوم الدين » فهذا الباب في رأيه قد احتذى فيه الغزالى نموذجاً يونانياً رائعاً ، هو كتاب « معازلة النفس » المنسوب عادة إلى هرمس ، وأحياناً قليلة إلى أفلاطون ، وهو من الكتب المنحولة الموضوعة في العهد الهليني المتأخر . ويدعى أحياناً في بعض المخطوطات باسم « كتاب معازلة النفس » وأحياناً أخرى ينسب إلى أرسطو ويدعى « زجر النفس » كما أشار إلى ذلك حاجى خليفة . (١)

وقد نشر الدكتور عبد الرحمن بنوي كتاب « معازلة النفس » ضمن كتابه « الأفلاطونية المحدثة عند العرب » وحقق في مقدمته أن هذا الكتاب من العهد الهليني المتأخر ، أى قبل الإسلام ، فيما بين القرنين الثالث والخامس الميلاديين ، وأنه اثر من الآثار الهرمزية التي غزت الفكر اليوناني المتأخر بولعل كاتبه كان وشياً زاهداً مؤمناً بالأفلاطونية المحدثة والفنوصية فهو إذن دخل في باب الأدب الهرمزى الذى انتشر انتشاراً هائلاً تحت اسم هرمس ، وهو اسم مجهول غامض ، وذلك في فترة اتحلال الحضارة اليونانية الرومانية .

ويستدرك الدكتور عبد الرحمن بنوي رأيه بقوله :

(٢) « .. لكن تأثير الغزالى إنما هو بالصياغة وطريقة المواجهة ، فالكتاب كان نموذجاً أدبياً يونانياً عارضه الغزالى بنموذج إسلامي من نفس القالب ، ويتعدد فيه أحياناً

(١) في كتاب *الظنون* صفحة ٥٤٠ تحت رقم ٦٨٤٦ .

(٢) بحث د. عبد الرحمن بنوي نشر ضمن أبحاث مهرجان الغزالى بدمشق من ٢٣٦ .

المعانى نفسها .

ولتكن الغزالى حرص كل الحرص على أن يصيّبه بالصبغة الإسلامية القرآنية ولعله اشتم في نموذجه أن روحه يونانية وثنية وإن كانت زاده رقيقة السمو الروحى ، وإن القارئ لهذا الفصل في كتاب «الإحياء» للغزالى ليدهشه هذا القالب الذى صبّت فيه عباراته ، إذ لا تجد هذا القالب عند كاتب إسلامي آخر قبل الغزالى ولا يبعده .

ويقول الدكتور بدوى كذلك . . « ولكن هذا التشابه الواضح في الصياغة وفي بعض المعانى البارزة يجب ألا ينسينا الفارق بين الكاتبين ، فهرمس (المنحول طبعا) يستخدم العبارات الفلسفية الأفلاطونية المحدثة كثيرا في كلامه مثل العقل وكونه للنفس كالأب والطبيعة وكونها كالزوجة وكلامه عن ذار المحسوسات ودار المعقولات ، وإن النفس سجن البدن ، والجورى الصورى . . يدخل في الاصطلاحات الأفلاطونية المحدثة أما الغزالى فكلامه بسيط مستمد من معانى القرآن وعباراته دون إدخال أى اصطلاح فلسفى ، كما هو شأنه في كتاب «الإحياء» كله لأنه يتوجه به إلى عامّة الناس ولهذا نستطيع أن نقول على وجه العموم إن الغزالى إنما تأثر بالروح العامة ثم بأسلوب الكتابة في رسالة «معاذلة النفس» لهرمس ، وفيما عدا ذلك يدخل جل بل كل كلامه في الإطار الإسلامي الخالص ، خصوصا وليس في رسالة هرمس أدنى إشارة إلى حساب وعقارب وأخرين ، بينما الغزالى يحرص على توكييد هذه المعانى في معاقبته للنفس بتخويفها بها لزجرها ، ومن هنا كان من الممكن استخراج فلسفة واضحة المعالم بادية الأسباب من رسالة هرمس أما عن فصل الغزالى في «الإحياء» فلا نكاد نستخرج غير جمل مؤثرة في الوعظ .

لكن ليس لنا أن نقوم بالتقويم بين الاثنين ، لأن هدف كليهما ، والجمهور الذي يتوجه إليه كلامها مختلف » (١) .

والحقيقة أن مابين «معاذلة النفس» لهرمس ، وباب توبیخ النفس ومحاسبتها للغرالي وعدد صفحاته سبع صفحات فقط هي ٤٢٢ - ٤١٦ من الجزء الرابع من كتاب «الإحياء»

(١) المرجع السابق من ٢٢٩ .

أقول إن ما بينهما من صلة لا يرقى إلى مرقى التأثير والتأثير ، فروح كتابات الغزالى طابعها إيمانى عميق وكتابات هرمس يغلب عليها روح الوثنية اليونانية رغم ما يشوب كتاباته فى « معادلة النفس » من زهد وغثوضية ظاهرة . . وأنه من الخطأ أن نقول ببساطة هكذا أن الغزالى قد تأثر فى هذا الباب بكتابات « هرمس » الوثنى الزائد المتأثر بالأفلاطونية الحديثة والغnostisية . لهذا أزعم أن الأستاذ الدكتور بدوى خانه التوفيق فى هذه الملاحظة ، ولعل ذلك راجع إلى فكرة مسبقة فى ذهنه وفى تأثر الغزالى بالأفلاطونية الحديثة والفلسفة اليونانية تأثراً كبيراً ، ولو أنه نظر إلى المسألة بنزامة وموضوعية ودون فكرة أو اتجاه مسبق مارأى هذا الرأى وما اتجه هذا الاتجاه - وبالذات - فى إحياء علوم الدين .

- ٢ - مشكاة الأنوار :

من أبدع وأجمل رسائل الغزالى هذه الرسالة الرائعة .

وقد شك بعض الباحثين فى صحة نسبة رسالة « المشكاة » إلى الغزالى منهم ، الدكتور عبد القادر محمود (١) الذى يقول « . . وقد لاحظت بمقارنته حديث الحجب والتجلى ، تجلى الله الأعظم فى نوره المحمدى عبر الأنبياء والأولياء - أقول (أى الدكتور عبد القادر محمود) إنى لاحظت أن مضمونه يتسع ويتوثق تمام التوثيق بما ذكره الغلو الشيعى عن الإمام جعفر الصادق زورا - يائى روى عن الإمام على أن النور المحمدى كان منطويًا على حجاب القدرة سبعة آلاف سنة ، وعلى حجاب الهدایة خمسة آلاف سنة ، وعلى حجاب اللطف تسعة آلاف سنة والغزالى من هذا براء » . . (٢)

ويقول الدكتور عبد القادر محمود (٣) . . نلاحظ أن « المشكاة » ترافق بين معنى الروح أو الأمر الإلهي وبين النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لم ينطقل به ولم يشر إليه الغزالى على الإطلاق هنا أو لدى أى مؤلف من مؤلفاته المنحولة الأخرى فضلاً عن الأصيلة ، فى

(١) الفلسفة الصوفية في الإسلام طبعة دار الفكر العربي بالقاهرة صفحة ٢١١ - ٢١٥ .

(٢) خاصية الأخبار لمحمد تقي التونساري صفحة ٢٨ .

(٣) الفلسفة الصوفية في الإسلام صفحة ٢١٢ .

الوقت الذى تحصل المشكاة الغزالى بركتب الفيض والصدور ووحدة الشهود والاتجاه والميل إلى الاتحاد والحلول وهو الذى نكر فى أمهاط كتبه أن كل هذا خطأ بل كفر هذه الاتجاهات .
... ولاشك أن هذا الاتجاه يمضى بالغزالى بالركتب المنفصل وهو منه براء . وينظر
أن « فنسك » ألقى الشك على الفصل الأول من المشكاة وأن مونتجومرى وات أكد أن
الفصل الثالث منها منحول ^(١)

والحقيقة أن كل ما حوله « فنسك » هو محاولة متواضعة كى يثبت أن القسم الأول
من « مشكاة الأنوار » مجرد تلخيص للفصل الخامس من التساع الرابع من تسعات
أفلوطين وهى محاولة متعسفة كل التعسف .

أما بالنسبة لمونتجومرى وات فقد رد على مزاعمه الدكتور بدوى حين قال ^(٢) : " زعم
مونتجومرى وات فى بحث ألقاه بمؤتمر المستشرقين فى باريس سنة ١٩٤٨ (ونشره بعد
ذلك فى J R A S * لسنة ١٩٤٩ م ص ٥ - ٢٢) أن الفصل الثالث من « مشكاة
الأنوار » فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم أن لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها
لحرقت سبhat وجهه كل من أدركه بصره .. نقول إنه زعم أن هذا الفصل الثالث منحول
ومقحم على النص الأصلى لمشكاة الأنوار بدعوى أن فصل « الحجب » هذا ، على حد
تعبيره، هو نونزعة أفلاطونية محدثة واضحة .. بينما الغزالى لم يتصل فى أى موضع
آخر - صراحة أو تضمينا من النقد الذى وجهه إلى الأفلاطونية المحدثة فى كتاب « التهافت
» وإن كان قد اقترب منها من عدة نواح (صفحه ٢١ - ٢٢ من المقالة المذكورة) .

ويقول الدكتور بدوى وقد ردت عليه بعد إلقائه بحثه فى مؤتمر المستشرقين فقلت له
أنه توجد نسخة مخطوطة من كتاب « مشكاة الأنوار » فى المجموعة رقم ١٧١٢ بمكتبة شهيد
على باشا باستقبال ، وهذا المجموع تاريخ كتابته سنة تسعة وخمسينات بخط وملك عبد
المجيد بن الفضل الفزارى الطبرى ومنه صورة شمسية فى دار الكتب المصرية برقم ٣٦٦٢

(١) المرجع السابق ٢١٣ .

(٢) مؤلفات الغزالى للدكتور بدوى صفحة ١٩٧ .

تصوف ، أى بعد وفاة الغزالى بأربع سنوات ، وفيه الفصل الثالث هذا ، وهذه حجة قاطعة تقضى على دعواه ، إذ لا سبيل إلى الشك فى صحة تاريخ هذه المخطوطة ، فضلاً عن أن الغزالى نفسه أشار إلى هذا الفصل في مقدمة المشكاة .

من كل ذلك يتضح لنا صحة نسبة رسالة «المشكاة» إلى الغزالى التى لانشأك فى نسبتها لحجـة الإمام الغزالى رضي الله عنه .

ولعل من أفضل الردود على «مونتجومرى وات» رد أستاذنا الجليل أبو العلا عفيفى فى مقدمته الرائعة لمشكاة الأنوار حيث قال (٢) : ذهب «مونتجومرى وات» فى مقالة له نشرت فى المجلة الآسيوية الملكية سنة ١٩٥٤ إلى أن الفصل الثالث من المشكاة فصل متاحل وأن مؤلفه كان أحد الكتاب المتأثرين بفلسفة ابن سينا فى إثبات وحدة الأول على نحو ما فسراها ابن سينا فى كتاب النجاة وذلك على أساس أن الإسلام السنى كان يفهم (التوحيد) دائمًا بمعنى نفي الشريك لله لا بمعنى الوحدة الذاتية ، وأن هذا المعنى الأخير هو ماذهب إليه أصحاب الأفلاطونية الحديثة الذين نفوا كل معنى من معانى التعدد فى ذات الواحد : وبذلك نفوا الصفات الإلهية .

ويقول الدكتور أبو العلا عفيفى : وهذه كلها مقدمات لأرأى فيها ما يبرر استنتاج الأستاذ «مونتجومرى وات» أن فصل الحجب فى جملته منحول ومحقّم على رسالة المشكاة ، لأن الغزالى لم ينكر صفات الله فى هذا الفصل وإنما أنكر كيفية إطلاقها على الله عند مختلف فرق المتكلمين وال فلاسفة ، فهو لم ينكر أن الله عالم قادر مرشد متكلم . . . الخ ، ولكنه أنكر إطلاق هذه الصفات على الله على التحو الذى يطلقها عليه المشبهة ، ولم ينكر أن الله نور ، ولكنه أنكر أن يطلق هذا الوصف على معبود آخر كالشمس أو القمر أو الكواكب الأخرى ، ولم ينكر أن الله قهار ولكنه أنكر أن تطلق هذه الصفة الإلهية على موجود مادى كالنار عند من يعبدونها .

للم يكن هم الغزالى وهو يتكلم عن تنزيه الله أن ينفى الشريك للبارى فقط ، بل كان

(١) المشكاة .. صفحـة ٣٠ - وصفحة ٢١ .

همه أيضاً أن يقرر الوحدة الذاتية لله ، ومشكلة الصفات عند متكلمي الإسلام وفلاسفتهم هي مشكلة الوحدة الذاتية الإلهية .

ثم إن « وات » لم يتبته إلى أن الغزالى فى هذا الفصل حاول أن يحل مشكلة الصفات على أساس صوفى بعد أن بحثها من الوجهة الكلامية والفلسفية « فالواصليون » فى اصطلاح الغزالى هم الصوفية أصحاب النور الذين يدركون الله إدراكاً مباشراً ، ويرونه مقدساً منزهاً عن جميع ما يخطر ببالنا وصفه به أما « وات » فيقول إن الواصلين الذين يتكلم عنهم الغزالى لا يمتازون عن غيرهم من المحجوبين إلا فى أنهم يأخذون بنظرية « المطاع » ، ثم يقول إن فصل الحجب ليس له توطئة تمهد له فى الرسالة ، وأى توطئة للكلام عن الحجب أقوى من ذكر النور وأنواعه ودرجاته : لأن الحجب التى تكلم عنها الغزالى حواجز تخفى هذا النور وتحول دون ظهوره وجلاه ، فإذا ارتفعت الحجب بجميع أنواعها ظهر النور الإلهي القاهر وأحرقت سبات وجه الله كل ما أدركه بصر الناظرين وبصائرهم كما يقول الحديث .

وفيما الشك فى نسبة الفصل الثالث من الرسالة إلى الغزالى وهو يقرر فيها أنها مؤلفة من ثلاثة فصول – لامن فصلين ، وبشير صراحة إلى حديث الحجب الذى هو موضوع الفصل الثالث ، ويحيل فى الفصلين الأول والثانى على الفصل الثالث وفي الفصل الثالث عليهما ؟

ومما يثبت صحة نسبة الفصل الثالث إلى الرسالة أنه ورد برمته فى مخطوطه شهيد على التى كتبت سنة ٥٠٩ هـ أى بعد وفاة الغزالى بأربع سنوات .

.. وأخيراً نرى ابن طفيل يقتبس فقرة طويلة هامة من هذا الفصل فى رسالة « حى بن يقظان » من غير أن يثير إشكالاً حول صحة نسبته إلى الغزالى . فالشاهد كلها مجمعة على أن فصل « الحجب » فى رسالة المشكاة جزء أصيل منها متتم للفصلين السابقين عليه ، وأنه من حيث المادة والأسلوب متmesh مع بقية الرسالة غير مقحم عليها .

الترجمة والدراسات حول مشكاة الأنوار :

من أهم الدراسات عن المشكاة مقال كتبه « فنسنٹ » في « ليدن » سنة ١٩٤٤ في عشر صفحات (١) .

- ويبحث نشره جيردнер DER - ISLAM W. H. T. Gairdner بمجلة الإسلام بالإنجليزية بعنوان « مشكاة الأنوار ومشكاة الغزالى » سنة ١٩١٤ (٢) .

- ويبحث موتجمورى وت بمجلة الجمعية الملكية الآسيوية سنة ١٩٤٩ .

ويقول الدكتور أبو العلا عفيفي في تصديره لكتاب لم تحظ المشكاة من الترجمات إلى اللغات الأوروبية إلا بثلاث : الأولى ترجمة إلى اللاتينية . قام بها اسحق بن يوسف الفاسى ، والثانية إلى اللاتينية أيضاً وقد قام بها مترجم مجهول ، والثالثة إلى الإنجليزية قام بها جيردнер سنة ١٩٢٤ (٣) .

والواقع أن أستاذنا الجليل الدكتور أبو العلا عفيفي رحمة الله وأسكنه فسيح جناته جانبه الصواب بالنسبة للترجمتين اللاتينيتين ، فالحقيقة أنهما ترجمتان لا لاتينيتان كما ذكر ، فكما أشار الدكتور بدوى في مؤلفات الغزالى (٤) إن الذي ترجم مشكاة الأنوار إلى العربية اسحق بن يوسف الفاسى ، ومن هذه الترجمة مخطوطتان في مكتبة بدوى باكسفورد برقمى ٣٢٥ و ٣٩٢ مخطوطات عربية ، والأول ينقصه آخره ، واسحق بن يوسف الفاسى غير اسحق الفاسى بن يعقوب (المتوفى سنة ١١٠٣ في لوثينا) وهو من علماء

(١) وفي هذا المقال حاول فنسنٹ أن يثبت أن القسم الأول من مشكاة الأنوار ليس إلا تلخيصاً لالفصل الخامس من التساع الرابع من تسعات أفلوطين وهو بذلك يحاول أن يلقى بعض الشكوك حول صحة نسبة الفصل الأول الغزالى ، لكن النسبة صحيحة .

W. H. T. Gairdner : " Al. Ghazáli's Miskat al. Anwar and the (٢)
Gazali - problem " in Der Islam, Vol - 4.1914 .

(٣) مشكاة الأنوار للغزالى تحقيق د . عفيفي ص ٩ .

(٤) مؤلفات الغزالى للدكتور بدوى ص ١٩٦ .

التلמוד المشهورين ، ويقول اشتبنشنيدر إن المترجم لعله والد موسى بن اسحق الفاسى الذى كان يعيش فى سنة ١٢٩٨ م .

وتهجد ترجمة عربية أخرى لترجمة مجهول ، فى مخطوط بالفاتيكان برقم ٢٠٩ وقد قسر DUKES الفصل الثالث من هذه الترجمة العبرية تبعاً للمخطوط الناقص I.P.XPP,P.9 O W.H.T . GAIRDNER . LONDON 1924

ويقع كتاب مشكاة الأنوار (١) للإمام أبي حامد الغزالى فى ثلاثة فصول الفصل الأول فى بيان أن النور الحق هو الله تعالى وأن اسم النور لغيره مجاز مُحض لا حقيقة له ، والفصل الثاني فى بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة والشجر والزيت والنار ، وبيان مراتب الأرواح البشرية النورانية ، والفصل الثالث فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفها لاحرق سبhat وجهه كل من أدركه بصر » وقسمه إلى المحظوظين بمحض الظلمة والمحظوظين بنور مقرنون بظلمة ، والمحظوظين بمحض الأنوار .

وموضوع الرسالة إجابة لسؤال من أخ كريم سأله أن يبيث له أسرار الأنوار الإلهية مقرونة بتأويل ما يشير إليه ظواهر الآيات المثلوثة والأخبار المرورية مثل قوله تعالى « الله نور السموات والأرض » (النور : ٣٥) ومعنى تمثيله ذلك بالمشكاة والمصباح والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة ، مع قوله صلى الله عليه وسلم « إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة وأنه لو كشفها لاحرق سبhat وجهه كل من أدركه بصره » .

ونتلمس في هذه الرسالة إرهاصات فلسفة اشراقية في فكر الغزالى ومن خلال منهجه في التأويل يحاول أن يستخدم بعض التأويلات الباطنية يكشف من بين ثناياها عن

(٤) طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٢٢٢ مـ ، سنة ١٢٢٥ مـ ، وسنة ١٩٢٩ مـ ، وسنة ١٢٥٢ مـ ضمن مجموعة « الجواهر الفوالى من رسائل الإمام حجة الإسلام الغزالى » تشرها صبرى الكردى ، وطبع بحلب ١٩٢٢ مـ ، وطبع طبعة محققة للدكتور أبو العلا عفيفى رحمة الله طبعة الدار القومية بالقاهرة ١٩٦٤ ، وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة .

مكnonات إشارات ورموز باطن الآية والحديث .

ويقول الغزالى لصاحب السؤال « ولقد أرتيت بسؤالك مرتكى صعباً تخوض دون
أعليه أعين الناظرين ، وقرعت ببابا مغلقاً لا يفتح إلا للعلماء الراسخين ، بل صبور الأحرار
قبور الأسرار ..

.. لكنى أراك مشروح الصدر بالله منه السر عن ظلمات الغرور ، فلا أشجع عليك فى
هذا الفن بالاشارة إلى لوامع ولوائح ، والرمز إلى حقائق ودقائق ، فليس الخوف فى كف
العلم عن أهله بتألق منه فى بته إلى غير أهله .

فمن منح الجهل علماً أضاعه .. . ومن منع المستوجين فقد ظلم

« فاقنع بإشارات مختصرة وتلويحات موجزة » (١)

فالغزالى يقدم لنا فى هذه الرسالة مجرد إشارات وتلويحات مختصرة ولوامع ولوائح سريعة قد جاء فى الأثر « إن من العلم كهينة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لم ينكروه إلا أهل القراءة بالله ومهما كثروا أهل الاغترار وجب حفظ الأسرار على وجه الإسرار » .

وموضوع الفصل الأول من الرسالة فى بيان أن النور الحق هو الله تعالى وإن اسم النور لغيره مجاز محسن لا حقيقة له « وبيانه بأن يعرف معنى النور بالوضع الأول عند العوام ، ثم بالوضع الثانى عند الخواص ، ثم بالوضع الثالث عند خواص الخواص ، ثم تعرف درجات الأنوار المذكورة المتساوية إلى خواص الخواص وحقائقها ليكتشف لك عند ظهور درجاتها أن الله تعالى هو النور الأعلى الأقصى وعند اكتشاف حقائقها أنه النور الحق الحقيقى وحده لا شريك له فيه (٢) .

والغزالى يريد أن يؤكد حقيقة كبرى هي أن الله تعالى هو نور الأنوار الذى تبعث منه كل الأنوار التى تسمى أنواراً مجازاً أما النور الحقيقى الحق فهو نور الله تعالى .

(١) المشكاة صفحة ٣٩ وصفحة ٤٠ .

(٢) المشكاة صفحة ٤١ .

ومعنى النور بالوضع الأول عند العامي أنه يشير إلى الظہور وهو عبارة عما يبصر بنفسه ويبيصر به غيره كالشمس ، هذا حَدَّهُ وحقيقةه بالوضع الأول ، فالنور عند العام يقصد به الظہور ، والظہور أمر إضافي : إذ يظهر الشيء لا محالة لانسان ويبيطن عن غيره، فيكون ظاهراً بالإضافة وباطناً بالإضافة ، وإضافة ظہوره إلى الإدراكات لا محالة ، وأقوى الإدراكات وأجلها عند العام الحواس ، ومنها حاسة البصر (١) .

والنور لا يدرك ولا يبيصر إلا من خلال عين باصرة تبصره ولهذا اعتبر الغزالى الروح الباصرة ركناً أساسياً في إدراكه لأنها المدركة وبها الإبصار والإدراك .

لهذا يتدرج الإمام الغزالى في إلقاء الظلال على معنى النور عند الخواص فيقول « وأطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا في الخفافش إن نور عينيه ضعيف ، وفي الأعمش أنه ضعف نور بصره ، وفي الأعمى أنه فقد نور البصر . . . فقد عرفت بهذا أن الروح الباصر سمي نوراً ، وأنه لم سمي نوراً ، وأنه لم كان بهذا الاسم أولى وهذا هو الوضع الثاني وهو وضع الخواص » (٢) .

ويصر العين مع أنه من وسائل الإدراك إلا أنه به أنواع النقصان فإنه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ، ولا يبصر ما يَعْدُ منه ، ولا يبصر ما هو وراء حجاب . ويبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها ، ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها ، ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر مالاً متناهياً ، ويغلط كثيراً في إبصاره فيري الكبير صغيراً والبعيد قريباً والساكن متحركاً والمتحرك ساكناً فهذه سبع نفائض لاتفاق العين الظاهرة . (٣)

لكن في قلب الإنسان « عيناً » كاملة لا يشوبها شيء من هذه النفائض وهي (العقل) أو (الروح) أو (النفس الإنسانية) ، وإذا كانت العين أولى باسم النور من النور المعروف ، فإن العقل أولى باسم النور من العين الظاهرة لسموه عن نفائض العين فالعين لا تبصر نفسها ، ونور العقل يدرك غيره ويدرك صفات نفسه والعقل يدرك القريب والبعيد ، والعقل

(١) المشكاة ص ٤١ .

(٢) المشكاة ص ٤٢ وص ٤٣ .

(٣) المشكاة ص ٤٣ .

يدرك ماوراء حجب السموات والملأ الأعلى والملائكة الأسمى ، والعقل يدرك ظاهر الأشياء وباطنها وصورها وحقائقها ، ويتجاذب إلى بواطن الأشياء وأسرارها ويدرك حقائقها وأرواحها ويستتبط سببها وعلتها وغايتها وحكمتها ، والعقل يدرك العالم كله فالموجودات كلها مجال العقل ، والعقل يدرك المعلومات ، والمعلومات لا يتصور أن تكون متناهية فإنه مثلاً يدرك الأعداد ولأنها لا تنتهي لها ، بل يدرك تضعيفات الاثنين والثلاثة وسائر الأعداد ولا يتصور لها نهاية ، ويدرك أنواعاً من النسب بين الأعداد لا يتصور التقاهى عليها بل يدرك علمه بالشيء وعلمه بعلم الشيء ، وعلمه بعلمه ، فقوته في هذا الواحد لا تنفك عن نهاية (١)

وإن العين تبصر الكبير صغيراً ، فترى الشمس قرصاً صغيراً ، والعقل يدرك أن الكواكب والشمس أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة ؟
وغلط البصر كثير ، والعقل متزه عن هذه الأخطاء .

ومع أن العقل استحق عن كمالاته هذه اسم النور لكن هناك " مالا يقارن العقل في كل حال إذا عرض عليه بل يحتاج إلى أن يهز أعطافه بالتبيه كالنظريات ، وإنما ينبهه كلام الحكمة فعند إشراق نور الحكمة يصير العقل مبصراً بالفعل بعد أن كان مبصراً بالقوة وأعظم الحكمة كلام الله تعالى ومن جملة كلامه القرآن خاصة فتكون متزلة آيات القرآن عند عين العقل متزلة نور الشمس عند العين الظاهرة إذ به الإبصار فبالحرى أن يسمى القرآن نوراً كما يسمى نور الشمس نوراً .

فمثال القرآن الشمس ومثال العقل نور العين .

وبهذا نفهم معنى قوله تعالى " فَامْتُنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلَنَا " وقوله تعالى قد جاعكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً (النساء : ١٧٤) .

ويتدرج الغزالى في تجريد النور حتى يصل بنا إلى نور من أنوار العالم العلوى عالم الملائكة الذي تعرج إليه نقوس الخلق من الدارجين السالكين عالم الغيب المشحون بالأأنوار . ويقول الغزالى « ولا تظن أننا نعني بالعالم العلوى السموات فإيتها علو وفوق في حق

(١) المشكاة من ٤٦ .

عالم الشهادة والحس ، ويشارك في إدراكه البهائم .

وأما العبد فلا يفتح له باب الملائكة ولا يصير ملكوتيا إلا ويبدل في حقه الأرض غير الأرض والسموات فيصير كل داخل تحت الحس والخيار أرضه ومن جملة السموات ، وكل ما ارتفع عن الحس فسماؤه .

وهذا هو المعراج الأول لكل سالك ابتدأ سفره إلى قرب الحضرة الريوبية فالاتسان مردود إلى أسفل الساقفين ، ومنه إلى العالم الأعلى

وأما الملائكة فإنهم جملة عالم الملائكة عاكفون في حضرة القدس ومنها يشرقون إلى العالم الأسفل . . . وعالم الشهادة أثر من ذلك العالم ، يجري منه مجرى الظل بالإضافة إلى الشخص والسبب بالإضافة إلى السبب (١) .

والأنوار السماوية التي تقتبس منها الأنوار الأرضية مرتبة بحيث يقتبس بعضها من بعض ، ومرتبة من حيث قربها وبعدها من منبع النور الأول ويشبهه الإمام الغزالى بضوء القمر حينما يدخل في كوة بيت ، فيقع على مرآة منصوبة على حائط فيمكن الضوء منها إلى حائط آخر في مقابلتها ، وينعطف إلى الأرض فيضيئها فانت تعلم أن ما على الأرض من نور تابع لما على الحائط ، وما على الحائط تابع لما على المرأة ، وما على المرأة تابع لما في القمر ، وما في القمر تابع لما في الشمس : إذ منها يشرق النور على القمر ، وهذه الأنوار الأربع مرتبة بعضها أعلى وأكمل من بعض ، ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا يتعداها (٢) .

والأنوار الملكوتية أيضا وجدت على ترتيب وأن المقرب هو الأقرب إلى النور المحض النور الأقصى منبع الأنوار جميعها وهم كثرة لهم ترتيبهم ومقاماتهم لدى واهب الأنوار الحق النور الأقصى الأعلى .

ومن هنا يتضح لنا أن إطلاق اسم النور على غير النور الأول مجاز محض فكل ماسواه من حيث ذاته لأنور له لأن نوريته مستعاره من غيره ونسبة المستعار إلى المتسعير

(١) المشكاة ص ٤٩ . ٥٠ باختصار .

(٢) المشكاة ص ٥٣ .

مجاز محض والنور الحق كما يقول الغزالى هو الذى بيده الخلق والأمر ، ومنه الإتارة أولاً والإدامة ثانياً ، فالموجود الحق هو الله تعالى كما أن النور الحق هو الله تعالى ، وما « سوى الله » فهو فى ذاته عدم محض .

وهذه الحقيقة يرها العارفون عندما يتدرجون فى مدارجهم الروحية ، ويقهمون نوقاً معنى قول الله تعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه » فهو مالك الملك فى الدنيا والآخرة .

ونداقه فى عبide ومخلوقاته يوم الفزع الكبير ، « من الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار » نداء لا يفارق أسماع البشر فى هذه الدنيا فهو ليس قاصرًا على يوم الفزع الكبير وإنما هو النداء الأبدي الخالد الذى تعنى أنه الوجود الحق كما أنه النور الحق وما سواه عدم محض.

والإمام الغزالى حين يقول إن العارفين يعرفون أن الوجود الحق هو الله تعالى فى حال تجربتهم الصوفية وفي حال وجودهم وفنائهم يشعرون بوحدة لا يرون إلا الوجود الحق الله تعالى وهذه وحدة شهود لا وحدة وجود كما حاول البعض أن يتهم الغزالى بأنه من بنروا فكرة وحدة الوجود في الفكر الإسلامي في كتابه المشكاة ، الحقيقة إن الرجل يريد أن يقول أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله ، وأن وجود الكون ما هو إلا كانعكاس ضوء القمر على صفة المرايا المختلفة فالكون لا يوجد له إلا كانعكاس وجود الحق فيه .

وكما نعلم أن الغزالى ينكر تماماً وجود مادة قديمة للعالم ويقتضي هذه المزاعم ويؤكده على أن العالم مخلوق حادث من عدم .

وحال « وحدة الشهود » خاطفة سريعة فتنتهى بسرعة كلمح البصر يعودها يصحو العارف ويعود إلى سلطان عقله وكلام العشاق فى حال السكر يطوى ولا يحيى .

فلما خف عنهم سكرهم وردوا إلى سلطان العقل الذى هو ميزان الله فى أرضه ، عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل شبه الاتحاد مثل قول العاشق فى حال قرط عشقه « أنا من أهوى ومن أهوى أنا » ولا يبعد أن يفاجئ الإنسان مرأة فينظر منها ولم ير المرأة قط ، فيظن أن الصورة التى رأها بصورة المرأة متعددة بها ، ويرى الخمر فى الزجاج فيظن أن الخمر لون الزجاج ، وإذا صار ذلك عنده مألفاً ورسخ فيه قدمه استغفر وقال :

رقّ الزجاج وراقت الخمرُ فتشابها فتشاكل الأمْرُ

فَكَائِنًا خَمْرٌ وَلَا قَدْحٌ وَكَائِنًا قَدْحٌ وَلَا خَمْرٌ

وفرق بين أن يقول : الخمر قدح ، وبين أن يقول : كائنة قدح ، وهذه الحالة إذا غلت سمعية بالإضافة إلى صاحب الحالة (فناء) ، بل «فناء الفناء» : لأنها فنى عن نفسه وفنى عن فنائه ، فإنه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ، ولو شعر بعدم شعوره بنفسه لكان قد شعر بنفسه ، وتسمى هذه الحالة بالإضافة إلى المستغرق به بلسان المجاز اتحاداً أو بلسان الحقيقة توحيداً^(١) .

وهكذا نستطيع أن نقول مطهتين إن الغزالى لم يقل بوحدة الوجود ولم يذكر أن الحق هو الخلق وأنهما وجهان لحقيقة واحدة ولا فرق بينهما إلا بالاعتبار ولكنه قال إن الله تعالى هو الوجود الحق وما سواه فهو في ذاته عدم محسوس .

وإن توحيد العوام هو قول «لا إله إلا الله» وأن توحيد الخواص «لا إله إلا هو» هو كل ما يشار إليه ، ولهذا فإن توحيد الخواص - كما يقول الغزالى - أتم وأحسن وأشمل وأحق وأدق وأدخل بصاحبه في الفردانية المحسنة والوحدانية الصرف ، ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية .

والفصل الثاني من رسالة المشكاة موضوعه بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار . ويقدم لذلك كله بعquette يبين من خلالها سر التمثيل ومنهاجه وكيفية الموازنة بين عالم الشهادة وعالم الملكوت . ثم يتحدث عن طبقات أرواح الطينية البشرية . فالرموز المذكورة «المشكاة» أو «المصباح» ... ماهي إلا رموز للأرواح البشرية في رأى الغزالى .

وعن سر التمثيل ومنهاجه يقول الغزالى «اعلم أن العالم الملكوتى عالم غيب إذ هو غائب عن الأكثرين ، والعالم الحسى عالم الشهادة إذ يشهده الكافرة . والعالم الحسى مرقة إلى العقلى . فلو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانتسد طريق الترقى إليه . ولو تعذر ذلك لتعذر السفر إلى حضرة الربوبية والقرب من الله تعالى »^(٢) .

(١) المشكاة ص ٥٧ ، وص ٥٨ .

(٢) المشكاة صفحة ٧٠ .

وهذا النص القصير يبين لنا أن الغزالى يريد أن يقول أن الأشياء فى عالم الشهادة لها «مثال» أو رمز فى عالم الملائكة وأن عالم الشهادة مدرج من المدارج إلى عالم الغيب . وإن الله سبحانه وتعالى هو الذى لا يماثله شئ لأنه لامثال له .

.... وإن كان لا يوجد للصورة إلا نسبة نوع ترتيب على هذه الشاكلة فهى على صورة الرحمن . وفرق بين أن يقال «على صورة الرحمن» وبين أن يقال على صورة الله «لأن الرحمة الإلهية هي التي صورت الحضرة الإلهية بهذه الصورة . ثم أنعم على آدم فاعطاه صورة مختصرة جامدة لجميع أصناف ما في العالم حتى كأنه كل ما في العالم أو هو نسخة من العالم مختصرة .

وصورة آدم - أعني هذه الصورة - مكتوبة بخط الله ، فهو الخط الإلهي الذى ليس ببرق وحروف ، إذ تنزع خطه عن أن يكون رقما وحروفا كما تنزع كلامه عن أن يكون صوتا وحراضا ، وقلمه عن أن يكون خشبأ وقصبا ، ويده عن أن تكون لحما وعظما . ولو لا هذه الرحمة لعجز الآدمي عن معرفة ربه إذ لا يعرف ربه إلا من عرف نفسه . فلما كان هذا من آثار الإلهية غير حضرة الرحمة وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية . ولذلك أمر بالعياذ بجميع هذه الحضارات فقال : «قل أَعُوذ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ» ولو لا هذا المعنى لكان ينبغي أن يقول على صورته «واللقط الوارد في الحديث الصحيح» على صورة الرحمن «(١) ويستخدم الغزالى منهجا خاصا في التأويل وضرب الأمثلة وهذا المنهج بعيد كل البعد عن مناهج الباطنية فهو ليس باطنينا ينكر الظاهر وليس حشويا ينكر أسرار الباطن ولكنه يجمع بين منهجي الظاهر والباطن في سائر تأويلاته فهو كما يقول «فالذى يجرد الظاهر حشوئ ، والذى يجرد الباطن باطنى والذى يجمع بينهما كاملا» (٢)

ولهذا فإننا وجدها الغزالى يبين لنا منهجه من خلال القائمة الضوء على مجموعة من الأمثل الموجودة في القرآن الكريم «فالطور» مثال لكل ما هو ثابت لا يتغير وعظيم

(١) المشكاة .. صفحه ٧١ .

(٢) المشكاة .. صفحه ٧٣ .

لا يستصغر ، ومنه ينفجر إلى أودية القلوب البشرية مياه المعرف ونفائس المكتشفات (١) .
• والواحدى • مثال للموجودات التي تتلقى تلك النفائس العلوية ومنها تتسال إلى قلوب البشر .. وهكذا يستخدم متهجه التأويلي البعيد عن مناهج الباطنية والظاهرية وإنما يقول القرآن بمنهج نوقي وكشفي بديع .

والغزالى يدافع عن نفسه من اتهامه بفُرقة كاذبة فيقول « لاتظن من هذا الأنماذج طريق ضرب المثال رخصة مني في رفع الظواهر واعتقادا في إبطالها حتى أقل مثلا لم يكن مع موسى نعلن ، ولم يسمع الخطاب بقوله « اخلع تعليك » حاش لله ، فإن إبطال الظواهر رأى الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء إلى أحد العالمين ولم يفهموا وجهه ، كما أن إبطال الأسرار مذهب الحشووية » (٢) .

وبعد ذلك يتناول الغزالى جزئية جديدة في هذا الموضوع وهي مراتب الأرواح البشرية التوارثية إذ بمعرفتها تعرف أمثلة القرآن الكريم ويقسمها الغزالى إلى خمس مراتب هي : الروح الحساس ، والروح الخيالى ، والروح العقلى ، والروح الفكري ، والروح القدسى النبوى ، والروح الحساس هو الذى يتلقى مدركات الحواس الخمس وهو موجود فى الصبي والبالغ وهو من أصل الروح الحيوانى وأوله .

والثانى الروح الخيالى وهو الروح الحافظ المثبت لما أوردته الحواس ويرافقه مخزوننا عنده ليعرضه على الروح العقلى الذى قوته عند الحاجة إليه . وهذا لا يوجد للرضيع ويوجد له بعد ذلك ، وقد يوجد لدى بعض الحيوانات دون الأخرى ، فالكلب إذا ضرب مرة بخشبة ، فإذا رأى الخشبة بعد ذلك من بعد هرب .

والثالث الروح العقلى الذى به تدرك المعانى الخارجية عن الحس والخيال ومدركاته المعرف الضرورية الكلية ولهذا فهو الجوهر الإنسنى الخاص فلا يوجد عند البهائم ولا عند الصبيان .

والرابع الروح الفكري وهو الذى يأخذ العلوم العقلية المحضة فيوقع بينها تأليفات

(١) المشكاة .. صفة ٦٩ .

(٢) المشكاة .. صفة ٧٣ .

وازدواجات ويستنتج منها معارف شريفة ، ثم إذا استقاد نتيجتين مثل ، ألف بينهما مرة أخرى واستقاد نتيجة أخرى ، ولا يزال يتزايد كذلك إلى غير نهاية .

والخامس الروح القدس النبوى الذى يخص به الأنبياء وبعض الأولياء وفيه تتجلى لواحة الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السموات والأرض ، بل من المعارف الريانية التى يقصر دونها الروح العقلى والفكى وإليه الإشارة بقوله تعالى « وكذلك أحياناً إليك روحًا من أمرنا ما كنتم تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به » -

[الشورى : ٥٢]

.. فإذا عرفت هذه الأرواح الخمسة فاعلم أنها بجملتها أنوار لأنها تظهر أصناف الموجودات ، والحسُّ والخيالى منها ، وإن كان يشارك البهائم فى جنسها ، لكن الذى للإنسانية منه نمط آخر أشرف وأعلى وخلق الإنسان لأجل غرض أجل وأسمى أما الحيوانات فلم يخلق ذلك لها إلا ليكون أللها فى طلب غذائها فى تسخيرها للأدمى .. وإنما خلق للأدمى ليكون شبكة له يقتضى بها من العالم الأسفل مبادئه المعرف الدينية الشريفة ، إذ الإنسان إذا أدرك بالحس شخصاً معيناً اقتبس عقله منه معنى عاماً مطلقاً (١) .

وهذه الأرواح الخمسة فى موازنة للمشاكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت ، فالروح الحساس فى موازنة المشاكاة لأن أنواره خارجة من عدة ثقوب الحواس كالعينين والأذنين والمناخين وغيرها أى كما ينفذ النور من المشاكاة ، والروح الخيالى يوازى الزجاجة لأنها من أصل كثيف بيد أن كلام منها قابل للترقيق والتتصيفية والتهذيب ، وكما تضبط الزجاجة نور المصباح حتى لا يحجب نوره وتحفظه عن الانتفاء بالرياح العاصفة ، كذلك فإن الخيال يضبط المعرف العقلية حتى لا تضطرب ولا تنتشر انتشاراً يخرج عن الضبط .

والروح العقلى يوازى المصباح فبالروح العقلى يمكننا إدراك المعرف الإلهية الشريفة تماماً كالمصباح الذى يمثل نوره النور الحسُّ .

(١) المشاكاة من ٧٧ - ٧٩ .

والروح الفكري يوازي الشجرة لأن الفكر يماثل الشجرة ذات الفروع والأغصان الكثيرة تزدهر كلها من جذر واحد وأصل واحد تماما كالجذر من الشجرة ولأن شجرة الزيتون بالذات زيتها أخلص وأنقى الزيوت وأرقها وأصفاها ، ويختص زيتها بخاصية زيادة الإشراق فشجرة الزيتون توانى الروح الفكري ، وهي شجرة مباركة لأنها كثيرة الشمر ، ولأن شعب الأفكار العقلية المحسنة خارجة عن قبول الإنسافة إلى الجهات ولها فهـ لـ اـ شـ رـ قـ يـ ئـ يـةـ .

كذلك فإن الروح القدس النبوى يوانى الزيت الندى الصافى الذى بلع من النقاء والصفاء حدا يجعله يضـءـ وـأـوـلـمـ تـقـسـسـ نـارـ .

إذ من الأولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستفني عن مدد الأنبياء ، وفي الأنبياء من يكاد يستفني عن مدد الملائكة .

ولـإـذـ كـانـتـ هـذـهـ آـنـوـارـ مـرـتـبـةـ بـعـضـهـاـ عـلـىـ بـعـضـ :ـ فـالـحـسـنـ هـوـ الـأـوـلـ ،ـ وـهـوـ كـالـتـوـطـنـةـ وـالـتـمـهـيدـ لـلـخـيـالـ ،ـ إـذـ لـاـ يـتـصـورـ الـخـيـالـ إـلـاـ مـوـضـوعـاـ بـعـدـهـ ،ـ وـالـفـكـرـ وـالـعـقـلـ يـكـرـنـانـ بـعـدـهـماـ ،ـ فـبـالـحـرـىـ أـنـ تـكـونـ الـزـجاـجـةـ كـالـمـحـلـ الـمـصـبـاحـ ،ـ وـالـمـشـكـاةـ كـالـمـحـلـ لـلـزـجاـجـةـ :ـ فـيـكـونـ الـمـصـبـاحـ فـيـ زـجاـجـةـ ،ـ وـالـزـجاـجـةـ فـيـ مشـكـاةـ .

ولـإـذـ كـانـتـ هـذـهـ كـلـهـاـ آـنـوـارـ بـعـضـهـاـ فـوـقـ بـعـضـ فـبـالـحـرـىـ أـنـ تـكـونـ نـورـاـ عـلـىـ نـورـ(١)ـ .

ويـظـهـرـ نـورـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـ إـنـسـانـ وـأـضـحـاـ جـلـيـاـ فـيـ جـمـيعـ مـرـاتـبـهـ ،ـ فـهـوـ الـمـوـجـودـ الـوـحـيدـ الـذـيـ حـقـ اللـهـ أـنـ يـكـونـ خـلـيـفـ اللـهـ فـيـ أـرـضـهـ وـهـوـ الـمـخـلـقـ الـوـحـيدـ الـذـيـ خـلـقـ الـرـحـمـنـ تـعـالـىـ عـلـىـ صـورـتـهـ .

وبـعـدـ ذـلـكـ يـحـاـولـ الغـزـالـىـ أـنـ يـسـتـخـدـمـ مـنـهـجـهـ التـوـلـيـسـ الـنـوـقـىـ الـفـرـيدـ فـيـ تـفـسـيـرـهـ لـبـعـضـ آـيـاتـ صـوـرـةـ الـنـورـ الـمـبـارـكـةـ ،ـ وـتـكـارـ الـأـنـفـاسـ تـتـوـقـفـ وـهـىـ تـتـابـعـ التـأـوـيلـ الـكـشـفـىـ الشـفـيـفـ الـذـيـ يـقـدـمـ لـنـاـ الـغـزـالـىـ ،ـ وـهـوـ عـنـدـىـ قـمـةـ فـيـ الـجـمـالـ وـالـشـفـافـيـةـ الـرـوـحـيـةـ ..ـ اـسـتـمـعـ إـلـيـهـ وـهـوـ يـقـولـ فـيـ نـصـ زـانـدـ فـيـ الرـوـعـةـ وـالـجـمـالـ :

هـذـاـ الـمـثالـ إـنـمـاـ يـتـضـعـ لـقـلـوبـ الـمـؤـمـنـينـ أـوـ لـقـلـوبـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـأـوـلـيـاءـ لـأـقـلـوبـ الـكـفـارـ :

(١) المشكاة ٨١

النور يراد للهداية ، فالمصروف عن طريق الهدى باطل وظلمة ، بل اشد من الظلمة : – لأن الظلمة لا تهدي الى الباطن ، كما لا تهدي الى الحق وعقول الكفار انتكست ، وكذلك سائر إدراكاتهم وتعاونت على الإضلال في حقهم فمثالهم كرجل (في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) (النور : ٤٠) .

يقول الإمام الغزالى « البحر واللجي هو الدنيا بما فيها من الأخطار المهلكة والأشغال المردية والكثورات المعمية ، والموج الأول موج الشهوات الداعية إلى الصفات البهيمية والاشتغال باللذات الحسية وقضاء الأوطار الدينية حتى إنهم يأكلون ويتعمدون كما تأكل الأتعام ، وبالحرى أن يكون هذا الموج مظلما لأن حب الشىء يعمى ويصم .

والموج الثاني من الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والبغضاء والحدق والحسد والمباهة والتقاخر والتكاثر .

وبالحرى أن يكون مظلما لأن الغضب غول العقل ، وبالحرى أن يكون هو الموج الأعلى لأن الغضب في الأكثر مسئول عن الشهوات حتى إذا هاج أذهل عن الشهوات وأغفل عن اللذات المشتهاء . وأما الشهوة فلا تقاوم الغضب الهائج أبداً .

وأما السحاب فهو الاعتقادات الخبيثة ، والظنون الكاذبة ، والخيالات الفاسدة التي صارت حجا بين الكافرين وبين الإيمان ومعرفة الحق والاستضاعة بتور شمس القرآن والعقل : فإن خاصية السحاب أن يحجب إشراق نور الشمس . (١)

وهذا النص الغزالى المشرق بالكلمات الصادقة الروحانية الشفيفة يبين لنا بصدق كيف صور لنا حجة الإسلام الظلمة في مقابل النور إننا نكاد نرى كل شيء من خلال الظلمة نكاد تلمس البحر البحري العميق الذي لا ساحل له ، نلمسه بحواس البصيرة ، وهذه الظلمات يجلبها لنا الغزالى حتى تتعقبها ، ظلمات حب الدنيا وأكدارها ، وأمواج الشهوات البهيمية والحسية ونوازع النفس الدينية من غصب وحقد وحسد وعداوة وبغضباء وتكبر وحب للمال والولد .

(١) المشكاة : ٨٢ ، ٨٣ .

يقول الغزالى « وإذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحرى أن تكون ظلمات بعضها فوق بعض وإذا كانت هذه الظلمات تحجب عن معرفة الأشياء القريبة فضلا عن البعيدة ، ولذلك حجب الكفار عن معرفة عجائب أحوال النبي ﷺ مع قرب متناوله وظهوره بآدئته تأمل ، فبالحرى أن يغير عنه بأنه لو أخرج يده لم يك يراها » .

وإذا كان منبع الأنوار كلها من النور الأول الحق ، فالحرى أن يعتقد كل موحد ان (من لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (النور : ٤٠) . فيكتفيك هذا القدر من أسرار هذه الآية فاقنع به . (١) .

وما في ذلك رياض عظيم أتاه الله حجة الإسلام فأنوار له الطريق فعرف معنى نور الحق وابعده عن ظلمات النفس المستقرة في بحر عميق كله ظلمات بعضها فوق بعض . ونجد في هذه الرسالة بصمات مذهب الإشراق وحكمة المشارقة النوقية التي تعتمد في حكمتها على البرهان والاستنباط .

لذلك استطاع أن يفرق بين عالم النور وعالم الظلمة ولكن الغزالى (٢) لم يَّبن على هذه التفرقة مذهبًا ثنوياً في طبيعة الوجود كما بنى ثنوية الفرس ، بل على العكس تقضي مذهبهم في المشكاة وغيرها ، واعتبرهم من جملة المحجوبين ، ولعله ومن سبقه من كبار متصرفة الإسلام كانوا أكثر تأثراً فيما قالوه عن النور والإدراك النوقى المتبعث من العالم النوراني بالأفلاطونية الحديثة التي وردت إليهم ملخصة في كتاب الريبوية المنسوب خطأ إلى أرسطو .

والفصل الثالث في المشكاة يدور حول معنى قوله ﷺ إن الله سبعين حجاباً من نور وظلمة لا يكشفها لأحرقت سباحات وجهه كل من أدركه بصره ، وفي بعض الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعين ألفاً .

ويؤكّد الغزالى أن المحجوبين من خلق الله ثلاثة أقسام : منهم من حجب بمجرد

(١) المشكاة ... ص ٨٣ .

(٢) المشكاة ... تصدر عن الدكتور أبو العلاء عفيفي ص ٣٤ .

الظلمة ، ومنهم من حجب بالنور المغض ، ومنهم من حجب بنور مقرون بظلمة .

والقسم الأول :

المحظيون بمحض الظلمة وهم الملاحدة الذين كفروا بالله تعالى ورسوله وهم لا عند
الغزالى صنفان (١) : صنف ت Shawf إلى طلب سبب لهذا العالم فأحاله إلى الطبيع . والطبع
عبارة عن صفة مركزة في الأجسام حالة فيها وهي مظلمة إذ ليس لها معرفة وإدراك ولا
خبر لها من نفسها ولا مما يصدر منها وليس لها نور يدرك بالبصر الظاهر أيضا والصنف
الثاني : هم الذين شغلوا بأنفسهم ولم يفرغوا لطلب السبب أيضا ، بل عاشوا عيش
البهائم ، فكان حجابهم نفوسهم الكثرة ، وشهواتهم المظلمة ، ولا ظلمة أشد من الهوى
والنفس : ولذلك قال الله تعالى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » [الجاثية : ٢٣] .
 فهو لا عبيد اللذة ، يعبدونها ويطلبونها ... وأي ظلمة أشد من ذلك ؟ فقد حجب هؤلاء
محض الظلمة .

وغرفة رأت أن غاية السعادات هي الغلبة والاستيلاء والقتل والسبى والأمر .. وهم محظيون بظلمة الصفات السبعية .. وغرفة ثالثة رأت أن غاية السعادات كثرة المال واتساع اليسار .

وفرقـة رابـعة زعمـت أن أعـظم السـعادـات فـى اتسـاع الجـاهـ والصـيـتـ وانتـشار الذـكـر ..
ويـدخلـ فـى جـلـةـ هـؤـلـاءـ جـمـاعـةـ يـقـولـونـ يـلـسانـهـمـ «ـ لـا إـلـهـ إـلـا اللهـ»ـ ،ـ لـكـنـ رـبـماـ حـلـلـهـمـ عـلـىـ ذـلـكـ
خـوفـ أـوـ اـسـتـظـهـارـ بـالـسـلـمـيـنـ وـتـجـمـلـ بـهـمـ أـوـ اـسـتـمـدـادـ مـنـ مـالـهـمـ ،ـ أـوـ لـأـجلـ التـعـصـبـ لـتـصـرـةـ
مـذـهـبـ الـآـيـاءـ فـهـنـإـلـاءـ إـذـاـ لـمـ تـحـلـلـهـمـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ عـلـىـ الـعـلـمـ الصـالـحـ فـلـاـ تـخـرـجـهـمـ الـكـلـمـةـ مـنـ
الـظـلـمـاتـ إـلـىـ النـورـ ،ـ «ـ بـلـ أـوـلـيـاـهـمـ الطـاغـوتـ يـخـرـجـونـهـمـ مـنـ النـورـ إـلـىـ الـظـلـمـاتـ»ـ الـبـقـرـةـ :
الـظـلـمـةـ وـانـ كـثـيرـ الـمـعـصـيـةـ .ـ (ـ ٢٥ـ)ـ أـمـاـ مـنـ أـثـرـ فـيـهـ الـكـلـمـةـ بـحـيـثـ سـاعـتـهـ سـيـتـهـ وـسـرـتـهـ حـسـنـتـهـ فـهـوـ خـارـجـ عـنـ مـحـضـ

ومن ذلك النص يتبين لنا أن القسم الأول وهم المحتقرون بالظلمة المحبة وهم

^{١١} المشكاة ص ٨٥ : ص ٨٧ باختصار .

الملحدة الذين أنكروا الله والبعث والحساب والنبوة ، واعتبروا الإنسان مادة فقط وفسروا الكون تقسيراً مادياً محضاً وقالوا (إن هي إلا حياتنا وما يهلكنا إلا الدهر) .

ومع الماديين الملحدة يدخل في دائرةهم أصحاب التفوس الكثيفة وأصحاب الملاذات الذين يعيشون الحياة طولاً وعرضًا كالبهائم ، فهؤلاء أقصى غاياتهم ، وأهدافهم في الحياة قضاء ملذاتهم ومتعمقهم الرخيصة .

كذلك يدخل في دائرة هؤلاء المحجوبين بالظلمة المضطهدة أصحاب النزعات الوحشية ومحبي القتل والاستيلاء والغسلة والقهر وهؤلاء منزليتهم منزلة السباع والوحش الضاربة .
كذلك كل من رأى أن غاية الغايات المال والجاه والشهرة .. فكل هؤلاء تفاصيلهم مظلمة ، وكل هؤلاء محجوبون عن الله تعالى بمحض الظلمة .

والقسم الثاني :

هم المحجوبون بنور مقرن بظلمة وهم ثلاثة أصناف : صنف منشأ ظلمتهم من الحس ، وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال ، وصنف منشأ ظلمتهم من مقاييسات عقلية فاسدة والصنف الأول المحجوبون بنور مشوب بظلمة حسية وهم طوائف شتى أولئك عبدة الأوثان ، وأخرهم الثنوية ، فعبدة الأوثان عرفوا على العموم أن لهم ربياً ولكن حجبتهم ظلمة الحس فصنعوا من المعادن النفيسة تماثيل اتخذوها آلهة ومنعهم من معرفة الله ظلمة الحس ذلك أن الحس ظلمة بالإضافة إلى العالم الروحاني العقلي .

والطائفة الثانية من المحجوبين بنور مشوب بظلمة طائفة اعتقدوا بأن لهم ربها وهو أجمل الأشياء .

فيما رأوا إنساناً جميلاً أو شجراً جميلاً أو فرساً بديعاً أو ما شابه ذلك سجدوا له وقالوا هذا هو ربنا ، فهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس .

وطائفة ثالثة قالوا ينبغي أن يكون ربنا نورانياً في ذاته صاحب سلطان في نفسه فعبدوا النار واتخذوها ربها ، وهم محجوبون بنور السلطنة والبهاء .

وطائفة رابعة عبدوا ما هو موصوف بالعلو والارتفاع وكان معروفاً بينهم الاشتغال

علم النجوم وتأثيرات التجمُّع في الحياة فعبدوا النجوم والكواكب ، فهؤلاء محظوظون بنور العلو والإشراق والاستيلاء ، وهم من أنوار الله تعالى .

وطائفة خامسة عبدوا الشمس وقاتلوا هي أكبر فهم محظوظون بنور الكبرياء مع بقية الأنوار مشوشاً بظلمة الحس .

ويقول الفرزالي « وهنالك طائفة سادسة عبدوا النور المطلق الجامع لجميع أنوار العالم وزعموا أنه رب العالم والخيرات كلها منسوبة إليه . ثم رأوا في العالم شروراً فلم يستحسنوا إضافتها إلى ربهم تزييها له عن الشر ، فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة وأحالوا العالم إلى النور والظلمة وهم الشووية » . (١)

والصنف الثاني المحظوظون ببعض الأنوار مشوشاً بظلمة الخيال كالمجسمة . والكرامية الذين عبدوا لها متجمساً جالساً على العرش أو الذين يثبتون لله تعالى الجهة المخصوصة جهة الفرق فهم ينفون الجسمية لا الجهة المخصوصة بالفروقية .

ثم هناك صنف ثالث وهم المحظوظون بالأأنوار الإلهية مقرورة بأدلة عقلية فاسدة وهم أصحاب الصفات أو الصفاتية الذين يثبتون لله صفات كالسمع والبصر والكلام ويقيسونها على صفاتهم الإنسانية وربما قال بعضهم كلامه صوت وحرف كلامنا وبعضهم قال لا بل هو كحديث نفستنا ولا هو صوت ولا حرف ، فهم محظوظون بجملة من الأنوار مع ظلمة المقاييس العقلية .

والقسم الثالث :

المحظوظون بمحض الأنوار وهم أصناف منهم الفلاسفة الذين اجتذبوا تعريفه بصفات البشر ونزعوه عن هذه الصفات وعرفوه بأنه مقدس منزه عن معانى الصفات وأن أثره في الكون واضح فهو « محرك السموات ومديرها » .

وصنف آخر من هؤلاء المحظوظين ترقوا عن هذا الصنف وقاتلوا إن تحريك الأفلاك يكون عن طريق ملك يقوم بالفعل تعبداً وطاعة لله تعالى ولعلنا نجد في رأي هؤلاء الفلاسفة

(١) المشكاة : ٨٩

تأثراً بآرسطو ومذهبه المركب بأراء أفلوطينية محدثة ، يقول الغزالى عن هذا الصنف والصنف الثالث ترقوا عن هؤلاء وقالوا : إن تحريك الأجسام بطريق المباشرة يتبيّن أن يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من عبد من عباده يسمى ملكا ، نسبته إلى الأنوار الإلهية المحضة نسبة القمر في الأنوار المحسوسة ، فزعموا أن الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك ، ويكون الرب تعالى محركاً للكل بطريق الأمر لا بطريق المباشرة .. فهو لاء الأصناف كلهم محجوبون بالأنوار المحضة (١) .

.. وبعد سرده لأراء المحجوبين من المشبهة من المتكلمين وال فلاسفة المسلمين المتأثرين بآرسطو والأفلوطينية المحدثة ورفضه لآرائهم ومنها قولهم إن الله هو المحرك عن طريق « عقل » محرك للأفلاك لأنّه يرتكض رأي « الوالصلين » وهو « المطاع » هو الأمر الإلهي القديم « لله الأمر من قبيل ومن بعد » (الله الخلق والأمر) (ومن آياته أن تقوم السماوات والأرض بأمره) « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » .

والأيات الشريفة السابقة تشير إلى أن أمر الله « المطاع » قديم قدم الله ، والأمر الإلهي ليس هو الله ، ولا هو غيره وعلى ما يقول الأشاعرة إن الله عالمٌ بعلم وقدر بقدرة ومتكلم بكلام ، ولكن علمه وقدرته وكلامه غير ذاته تعالى .

ولهذا فإن فكرة الغزالى وقوله « بالمطاع » هي فكرة جذورها أشعرية بالدرجة الأولى ويتصل اتصالاً مباشرـاً برأيهم في الكلام الإلهي وفي القرآن كلام الله تعالى ووحيه إلى نبيه ومصطفاه محمد ص ، ففكريته إسلامية أصلية .

والأمر الإلهي « المطاع » قديم قدم الله تعالى لأنّه من كلامه سبحانه وتعالى القديم .

ونسبة هذا المطاع إلى الله تعالى كنسبة الشمس إلى النور المحس .

ويقول الغزالى : إن هذا « المطاع » موصوف بصفة تنافي الوحدانية المحضة والكمال البالغ لسر لا يحتمل هذا الكتاب كشفه : وأن نسبة هذا (المطاع) نسبة الشمس في الأنوار فتوجهوا من الذي يحرك السموات ومن الذي يحرك الجرم الأقصى ، ومن الذي

أمر بتحريكها إلا الذي فطر السموات وفطر الجرم الأقصى وفطر الأمر بتحريكها ، فوصلوا إلى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر من قبلهم ، فاحرقـت سـيـحـات وجـهـهـ الأولـ الـأـعـلـىـ جميعـ ماـ أـدـرـكـهـ بـصـرـ النـاظـرـينـ وـبـصـيرـتـهـمـ فـإـذـ وجـدـوـهـ مـقـدـسـاـ مـنـزـهـاـ عـنـ جـمـيعـ مـاـ وـصـفـنـاهـ مـنـ قـبـلـ (١)ـ .

وينبغـىـ أنـ يـفـهـمـ جـيـداـ قولـ الغـزالـىـ : إنـ هـذـاـ «ـ المـطـاعـ »ـ مـوـصـوفـ بـصـفـةـ تـنـافـىـ الـوـحدـانـيـةـ الـمـحـضـةـ وـالـكـمالـ الـبـالـغـ ذـلـكـ أـنـ الـوـحدـانـيـةـ الـخـالـصـةـ لـاـ تـحـتـمـلـ التـعـدـدـ إـذـ لـاـ تـعـدـ فـيـهـاـ فـالـوـاحـدـانـيـةـ مـنـ صـفـاتـ اللهـ تـعـالـىـ وـحـدـهـ أـمـاـ الـأـمـرـ إـلـهـىـ «ـ المـطـاعـ »ـ فـهـوـ مـبـدـأـ التـعـدـدـ فـيـ الـوـجـودـ .

ولهـذاـ قـالـ : إنـ «ـ المـطـاعـ »ـ مـوـصـوفـ بـصـفـةـ تـنـافـىـ الـوـحدـانـيـةـ الـمـحـضـةـ وـهـنـاـ نـلـاحـظـ أـنـ الغـزالـىـ كـانـ مـنـزـهـاـ لـهـ تـعـالـىـ وـمـوـحـدـاـ خـالـصـاـ وـلـمـ يـفـهـمـ بـعـضـ الـمـفـكـرـينـ فـكـرـةـ الـمـطـاعـ عـنـ الإـيمـانـ الغـزالـىـ ..ـ وـلـهـذاـ يـقـولـ ابنـ طـفـيلـ فـىـ رـسـالـتـهـ حـىـ بنـ يـقـظـانـ :ـ وـقـدـ تـوـهـمـ بـعـضـ الـمـتـأـخـرـينـ لـعـلـهـ يـقـصـدـ ابنـ رـشـدـ مـنـ كـلـامـ الغـزالـىـ الـوـاقـعـ فـىـ آـخـرـ كـتـابـ الـمـشـكـاةـ أـمـراـ عـظـيمـاـ أـوـقـعـهـ فـىـ مـهـوـاـ لـاـ مـخـلـصـ مـنـهـ وـهـوـ قـوـلـهـ بـعـدـ أـنـ ذـكـرـ أـصـنـافـ الـمـحـجـوبـيـنـ بـالـأـنـوارـ ثـمـ اـنـتـقـالـهـ إـلـىـ ذـكـرـ الـوـاصـلـيـنـ أـنـهـمـ وـقـفـواـ عـلـىـ أـنـ هـذـاـ الـمـوـجـودـ الـعـظـيمـ مـتـصـفـ بـصـفـةـ تـنـافـىـ الـوـحدـانـيـةـ الـمـحـضـةـ .ـ فـأـرـادـ أـنـ يـلـزـمـهـ مـنـ ذـلـكـ بـأـنـهـ يـعـتـقـدـ أـنـ الـأـوـلـ الـحـقـ سـبـحـانـهـ فـىـ ذـاتـهـ كـثـرـةـ مـاـ تـعـالـىـ اللـهـ عـماـ يـقـولـ الـظـالـمـونـ عـلـاـ كـبـيرـاـ (٢)ـ فـالـغـزالـىـ يـقـصـدـ بـالـمـوـجـودـ الـعـظـيمـ الـمـتـصـفـ بـصـفـةـ تـنـافـىـ الـوـحدـانـيـةـ الـمـحـضـةـ يـقـصـدـ بـهـ «ـ المـطـاعـ »ـ وـلـاـ يـقـصـدـ بـهـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ وـالـمـطـاعـ مجلـىـ مـنـ مـجـالـىـ الـحـقـ وـمـنـ هـنـاـ نـفـهـمـ أـنـ الغـزالـىـ لـاـ يـتـبـنىـ وـلـاـ يـعـتـنـقـ نـظـرـيـةـ الـصـيـورـ عـنـ الـحـكـمـ وـالـأـفـلـوـطـيـنـيـنـ الـمـحـدـثـيـنـ .

وـقـدـ كـانـ رـسـالـةـ الـمـشـكـاةـ رـسـالـةـ كـشـفـيـةـ نـوـقـيـةـ إـشـرـاقـيـةـ رـائـعـةـ تـعـدـ إـرـهـاـصـةـ كـبـرـىـ الـفـلـسـفـةـ إـشـرـاقـيـةـ عـنـ فـلـاسـفـةـ إـشـرـاقـ الـذـيـنـ أـتـواـ مـنـ بـعـدهـ وـخـاصـةـ الـفـيـلـسـفـ إـشـرـاقـيـ الـكـبـيرـ قـطـبـ الدـيـنـ الشـيـرـازـيـ .

وـكـانـ الغـزالـىـ صـادـقاـ مـخـلـصـاـ حـينـ قـالـ فـىـ خـتـامـ رـسـالـتـهـ ..ـ فـهـذـاـ مـاـ حـضـرـنـىـ فـىـ

(١) المشـكـاةـ : ٩٢ـ .

(٢) حـىـ بنـ يـقـظـانـ لـاـيـنـ طـفـيلـ صـفـحةـ ٦٤ـ .

جواب هذه الأسئلة مع أن السؤال صادقني والفكر منقسم ، والخاطر متشعب ، والهم إلى غير هذا الفن منصرف .

ومقترحى عليه أن يسأل الله تعالى العفو عما طفى به القلم ، أو زلت به القدم فإن خوض غمرة الأسرار الإلهية خطير واستشفاف الأنوار الإلهية من وراء الحجب البشرية عسير غير يسير .^(١)

٣ - كيمياء السعادة

- أصل هذا الكتاب بالفارسية (كيمياء السعادة والعلوم)^(٢) والأصل الفارسي كبير يشابه إحياء علوم الدين ويقال إنه ترجم فيه كتاب الإحياء فالأصل الفارسي يتالف من أربعة أركان :

(الركن الأول) في العبادة وهو عشرة أصول : الأصل الأول اعتقاد أهل السنة والثاني طلب العلم ، والثالث الطهارة ، والرابع الصلاة . والخامس الزكاة ، والسادس الصيام ، والسابع الحج ، والثامن تلاوة القرآن ، والتاسع الأذكار والدعوات ، والعشر ترتيب الأوراد .

(الركن الثاني) في أداب المعاملة وهو أيضاً عشرة أصول : الأول في أداب الطعام ، والثانية أداب النكاح ، والثالث أداب الكسب والتجارة ، والرابع طلب الحلال ، والخامس أداب الصحابة ، والسادس أداب العزلة ، والسابع أداب السفر ، والثامن أداب

(١) المشكاة ص ٩٣ .

(٢) ويشير الدكتور عبد الرحمن بدوى في كتابه « مؤلفات الفرزالي » إلى أن النص الفارسي قد طبع في كلكتا بدون تاريخ .
طبع في حجر في « لكتهن » سنة ١٢٧٩ هـ ، سنة ١٢٨٢ هـ ، سنة ١٢٨٨ هـ ، سنة ١٢٩١ هـ . وفي بيمبى سنة ١٨٨٤ م .

وقد ترجم النص الفارسي إلى التركية مصطفى الوانى المتوفى سنة ١٥٩١ وترجمه إلى الإنجليزية عن الترجمة التركية م . ١ . هومس طبعة نيويورك ١٨٧٢ .
وقد ذكر المريضى فى اتحاف السادة المتدين إلى أنه يوجد إلى جانب النص الفارسي الكبير ، نص عربى صغير فى أربعة كراسيس وعندئذ نسخه منه .
وقد طبع النص العربى ضمن مجموعة رسائل طبعها هبىرى الكردى ، القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ . ١٣٤٣

السماع والوهد ، والتاسع أدب الامر بالمعروف والنهى عن المذكر ، والعشر رعاية الرعية وتسهيل الولاية .

(الركن الثالث) في رقية عقبات الطريق وهو أيضاً عشرة أصول : الأول في رياضة النفس ، والثاني علاج الشتهوة ، الثالث في شر الكلام وأفات اللسان ، والرابع في الغضب والحدق والحسد ، والخامس علاج حب الدنيا ، والسادس علاج حب المال ، السابع علاج حب الجاه والحسمة ، والثامن علاج الرياء والنفاق في العبادة ، والتاسع علاج الكبر والعجب ، والعشر علاج الغرور والغفلة .

(الركن الرابع) في المنجيات ، وهو أيضاً عشرة أصول : الأول في التوبة والبعد عن المظالم ، والثاني في الشكر والصبر ، والثالث في الخسوف والرجاء ، والرابع في الفقر والزهد ، والخامس في التوحيد والتوكيل ، والسادس في محبة الحق .

ورسالة كيمياء السعادة توضح كيمياء السعادة الجوانية أو الباطنية والنفسية التي تقابل الكيمياء المادية أو الظاهرة يقول الغزالى كيمياء السعادة لا تكون إلا في خزائن الله سبحانه وتعالى ، ولا تلتمس إلا من حضرة النبوة وكل ما طلبها من غير هذا السبيل فقد أخطأ الطريق . ومن هنا كان لابد من يريد أن يظفر بهذه السعادة ، أن يتعرى من كل صفات النقص ويكتفى بكل صفات الكمال .

يقول الغزالى في رسالة "كيمياء السعادة" أعلم أن سعادة كل شيء لذته وراحته ، ولذة كل شيء تكون بمقتضى طبيعته ، وطبع كل شيء ما خلق له فلذة العين في الصور الحسنة ، ولذة الأذن في الأصوات الطيبة ، وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة ، ولذة القلب الخاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى ، لأنه مخلوق لها ، وكل ما لم يعرقه ابن آدم إذا عرفه فرح به ، مثل الشطرنج إذا عرفها فرح بها ، ولو يئس عنها لم يتركها ، ولا يبقى عنها صبر وكذلك إذا وقع في معرفة الله سبحانه وتعالى فرح بها ولم يصبر عن المشاهدة لأن لذة القلب المعرفة ، وكلما كانت المعرفة أكبر كانت اللذة أكبر ، ولذلك فإن الإنسان إذا عرف الوزير فرح ، ولو عرف الملك لكان أعظم فرحا ، وليس موجود أشرف من الله سبحانه وتعالى لأن شرف كل موجود به ومنه ، وكل عجائب العالم أثر من آثار صنعته فلا معرفة أعز

من معرفته . ولا لذة أعظم من لذة معرفته وليس منظر أحسن من منظر حضرته ، وكل لذات وشهوات الدنيا متعلقة بالنفس وهي تبطل بالموت ولذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب ، فلا تبطل بالموت لأن القلب لا يهلك بالموت ، بل تكون لذته أكثر وضوحاً أكبر ، لأنه خرج من الظلمة إلى الضوء .

وفي هذا النص نلاحظ أن الغزالى يلح على أمر هام وهو أن معرفة الله هي أعظم وأعز معرفة ، ومعرفته متعلقة بالقلب محل التور ، وفي هذا النص أيضاً إشارة إلى المعرفة الصوفية عن طريق الزهد في متاع الدنيا وشهوات النفس التي تبطل الموت أما المعرفة الأبدية فهي التي تتم عن طريق القلب لأن القلب لا يهلك بالموت .

والغزالى يرى أن عين القلب تستطيع معرفة الله ليس فقط في حال الموت أو في حال النوم وإنما أيضاً تستطيع عين القلب أن تتفتح في حال اليقظة وذلك عند من جاهد نفسه بالرياضية الروحية وتخلص من سائر الأخلاق المذمومة فإذا خلا العبد إلى نفسه ، وعطل طريق الحواس ، وفتح عين باطنه وسمعه ، ودأب على ذكر الله بقلبه لا بلسانه ، حتى يصبح ولا خير له من نفسه ولا من العالم ، ولا شيء يملك عليه باطنه غير مشاهدة الذات الإلهية فهناك عين القلب ، ويصبح الإنسان قادراً على أن يبصر في اليقظة ما يبصره في النوم ، وهناك يشاهد الحقائق العليا ، والمناظر الجميلة الجليلة التي لا يمكن شرحها ووصفها وينكشف له ملوك السموات والأرض إذا أن حجاب القلب عن مطالعة ذلك العالم راجع إلى أنه لم يكن قد فرغ بعد من شغل الحواس والإشتغال بالعالم المادى ، والإقبال على ما فيه من لذات حسية لا تثبت أن تعرض له حتى تزول ، وكثيراً ما تعقب له آلاماً .

هكذا يبين لنا الغزالى أن طريق السعادة الحقة طريق قلبي توقي يشعر فيه الإنسان (وإن إلى ربك المتنهى) .

فإن السعادة العظمى حين يفرغ الإنسان من الاشتغال بالمادة والذات الحسية الزائلة وينشغل في ذكر الله وعبادته ، وحين يتخلى عن الأخلاق المذمومة ويتحلى بالصفات المحمودة ، وحين يخلع عن قلبه الهوى والدنيا ويظهر نفسه من أدran الحقد والحسد والغل وسائل الأخلاق السيئة .. وقتها يشعر الإنسان بالسعادة الروحية الحقة الخالصة . لا

السعادة المادية الثالثة .

٤ - كتاب المضنون به على غير أهله : (١)

هذا الكتاب نسب خطأ للإمام الغزالى لأنه يحوى أفكار ومبادئ بعيدة كل البعد عن أفكار ومبادئ الغزالى .

فمادة الكتاب لا يعقل أن تصدر عن حجة الإسلام الإمام الغزالى فقد فند هذه الأفكار الغريبة عن فكره الإسلامي الصحيح في العديد من كتبه ولا يصح منه أن يعتقد ما يحشه وفنته من قبل .

فعثلاً : الإمام الغزالى الذي هاجم في تهافت الفلسفه فكرة تقدم العالم وأن القرآن صفة قديمة نجد في الكتاب المنسوب إليه زوراً يقول (٢) "الزمان لا يكون محدوداً ، وخلق الزمان أمر محال ، فاليموم هو الكون الحادث في اللغة ، وأيام الله حيث قال "ونذكراهم ب أيام الله" : مراتب مخلوقاته ومصنوعاته ومبادراته من وجوده . منها قوله في أربعة أيام يوم مادة السماء ويوم صورتها ويوم كواكبها ويوم نفوسها ، وقوله خلق الأرض في يومين . المادة والصورة ومادة السماوات ومادة بروجها صورة واحدة ، ومادة الأرض مادة مشتركة بين أزواج وفحول وهي أحسن لأنها مؤسسة تقبل كل تأكعج .

وكما نعلم أن الغزالى رد على الفلسفه والتكلمين القائلين يقدم العالم فكيف يتناقض مع نفسه ويساير من كفرهم من قبل في قوله بقدم العالم .

وقد جانب الإمام الجليل ابن تيمية الصواب وأخطأ الرأى حين قال في تقضي المنطق : وأما المضنون به على غير أهله ، فقد كان طائفه أخرى من العلماء يكتسبون ثبوته عنه ، وأما أهل الخبرة به وبحاله فيعلمون أن هذا كلامه ، لعلهم بمواد كلامه ومشابهته بعضه بعضاً . ولكن كان هو وأمثاله - كما قدمت - مضطربين لا يثبتون على قول ثابت ،

(١) طبع ضمن مجموعة بالقاهرة سنة ١٣٠٣ هـ ، سنة ١٣٠٩ هـ ، وبها مش «الإنسان الكامل» للجيلى سنة ١٣٢٨ بالقاهرة ، وسنة ١٣٦٨ هـ طبعة صبيح وشرح الكتاب عبد الله بن عبد المجيد العبيدي «ت سنة ١٧٤٩ هـ - ١٢٤٨ م» وطبع بالقاهرة سنة ١٩١٢ م .

(٢) المضنون به على غير أهله طبعة القاهرة ١٣٠٩ هـ (مصر المحروسة من ٢ وما يعدا .

ولأن عندهم من الذكاء والطلب ما يتشوقون به إلى طريقة خاصة للخلق ، ولم يقدر لهم سلوك طريقة خاصة هذه الأمة الذين ورثوا عن الرسول صل العلم والإيمان ، وهم أهل حقائق الإيمان والقرآن .. وبهذا كان الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح يقول - فيما رأيته بخطه - : أبو حامد رحمه الله القول فيه ومنه . فاما هذه الكتب - يعني المخالفة للحق - لا يلتقي إليها ، وأما الرجل فيسكت عنه ويقوض أمره إلى الله (١) .

لقد كان ابن تيمية متحاملاً على الغزالى أكثر من اللازم حين ذكر أن أهل الخبرة به وبحاله يعلمون أن هذا كلامه لعلهم بموارد كلامه ومشابهه بعضه بعضًا .
والحقيقة أن هذا الكتاب لا يمثل روح الغزالى ولا أسلوبه ، ولا فكره ولا مبادئه حجة الإسلام . وكل ما في انكاره الغزالى في كتابه إنكاراً تماماً فكيف يعتقد ما يكفره ، ويناقض ما كتبه في " التهافت " " والمقاصد " .

كذلك نجد أن كتاب " المضنون " يحتوى على أن " القرآن صفة قديمة لا مثل لها " ويقرر " نفي الصفات " فيقول الكتاب المنسوب خطأ " فصل : يتخيل بعض كثرة في ذات الله تعالى عن طريق تعدد الصفات ، وقد صح قول من قال في الصفات : " لا هو ولا غيره : وقد توه التغير ، ولا تغایر في الصفات . ومثال ذلك أن الإنسان يعلم القرطاس ، وهذه صفة واحدة ، وكمالها أن يكون المعلوم تبعاً لها ، فإنه إذا حصل العلم بتلك الكتابة ظهرت الصورة على القرطاس ، وهذه صفة واحدة ، وكمالها أن يكون المعلوم تبعاً لها ، فإنه إذا حصل العلم بتلك الصفة من حيث أن المعلوم اكتشف بها يقال لها علم ، ومن حيث أن الألفاظ تدل عليها يقال كلام ، فإن الكلام عبارة عن مدلول العبارات . ومن حيث أن وجود المعلوم تبعاً لها يقال لها القدرة ، ولا تغایر ما هنا بين العلم والقدرة والكلام .

فإن هذه صفة واحدة في نفسها ، ولا تكون هذه الاعتبارات الثلاث واحدة (٢) .

وأما رؤية الله فنجد أن الكتاب يقرر ورد الآذن اطلاق ذلك فإن رسول الله ص قال :

رأيت ربى في أحسن صورة . وهذا مما ورد في الأخبار أن الله خلق آدم على صورته (٣)

(١) نقض المنطق لابن تيمية طبعة القاهرة . ١٣٧ - م / ١٩١٥ م صفحة ٥٥ .

(٢) ، (٣) المضنون ص ٥ ، ص ٦ ، ص ١٦ .

ومن ذلك كله يتضح لنا أن كتاب المضعون به على غير أهله ليس للإمام الغزالى . فالغزالى صاحب " تهافت الفلسفه " ، " مقاصد الفلسفه " ، " وفضائح الباطنية " والمنقد من الفسالل " ، " ولحیاء علوم الدين " ، " والأربعين في أصول الدين " ، " ومناج العابدين إلى جنة رب العالمين " ، ... والغزالى " حجة الإسلام " لا يمكن أن يقول بعملية الخلق من عدم وأن الزمان قديم ، ويؤيد مذهب الصدور القيصى . وكيف ينفي الصفات وهو الذي نقد الفلسفه والمتكلمين والباطنية في هذه الأقوال وبين تهافتهم وأخطائهم العقديه والفلسفية في قولهم بأن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات ، وقولهم إن العالم قديم ، وقولهم بجسديه العالم الآخر .

ولا شك عندنا أن هذا الكتاب مدسوس على الإمام الغزالى رضى الله عنه يقول السبکي في طبقات الشافعية (١) " المضعون به على غير أهله " معاذ الله أن يكون له لأنه اشتمل على التصریح بقدم العالم ، ونفى العلم القديم بالجزئيات ، ونفى الصفات ، وكل واحدة من هذه يکفر الغزالى قائلها وأهل السنّه أجمعون فكيف يتصور أنه يقولها ؟ وهو عندي وفي المسامرة أنه من تأليف ابن السبکي وكذلك صرخ صاحب " تحفة الإرشاد " بأنه موضوع عليه ، وقد صنف أبو بكر محمد بن عبد الله المالقى كتابا في رده ويتوفى سنّه خمسين وسبعيناً .

لقد كان للغزالى اعداء أرادوا به سوءا قدسوا عليه ما يكره ونسبيوا إليه أفكارا هاجموا من قبل هجوما عنيفا وبين خطأهم وكشف عن خللها يقول الأستاذ الدكتور أحمد فريد الرفاعي (٢) كم دسّت كتب ووضعـت على غير أصحابها . لمحاريتهم والتشهير بهم ، كما فعلوا في حق أبي بكر الرازى ، إذ زوروا عليه كتابا في تكذيب الاعتقاد بالأولياء ، وقد حدث مثل هذا في حق الشعراـنى إذ تناول أحد خصومه كتابه " البحر المورود " فحذف منه فصولا ووضع بدلها ما تشتمـ منه ربيع الكفر ، ثم نشره منسوبا إلى الشعراـنى ، باعتباره كتابه الحقيقي ، فاختلط الشعراـنى في سبيل الدفاع عن نفسه أمام علماء القاهرة ، أن

(١) طبقات الشافعية للسبکي ج ٤ من ١٣١ .

(٢) كتاب الغزالى للدكتور الرفاعي ج ٢ صفحة ٢١٣ .

يبرر النسخة الأصلية التي لديه من كتابه ، والتي تحوى تواقيعهم ، وقد حدث هذا أيضاً في حق ابن عربى ، وتصدى الشعراوى للدفاع عنه ، وكان بعض خصومه قد دسّ عليه فى كتابه "الفتوحات" ما يدل على الكفر ، وقد قاسى الإمام فخر الدين الرازى شيئاً من هذا القبيل ، وقد تعذّرت هذه الدسائس على كتب المؤلفين بفعل خصومهم والناقدين عليهم ، حتى وضّع على بن محمد المصرى قائمة باسمائهم ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلا ينبغي أن نعجب من وقوع هذا في حق الغزالى أيضاً ، وقد أكد المستشرق المجرى "جولد زيهير" أن ذلك وقع بالفعل .

واعتقد الآن أننا بعد هذه هذه النظرة الشاملة نستطيع أن ننتهي إلى نتيجة مناسبة وهي أنه وضح لنا بلا أدنى شك أن "المصنون به على غير أهله" تسبب خطأ وذوراً إلى الإمام الغزالى وأنه ليس من كتبه ولا من تأليفه .

«المبحث الثاني»

مشكلة المعرفة اليقينية عند الفرزالي

أولاً : منهج الشك عند الفرزالي

١ - البحث عن الحق واليقين :

الحقيقة أن البحث عن الحق كان ديدن الفرزالي منذ عنفوان شبابه ، وقبل بلوغه العشرين .

فقد تميز الفرزالي بعقلية ناقدة فذة تستطيع ان تحلل الأشياء تحليلاً منطقياً ليصل من المقدمات إلى نتائج صافية .. يقول في منقاده من الضلال «إن اختلاف الخلق في الأديان والملل ، ثم اختلاف الأئمة في المذاهب ، بحر عميق غرق فيه الأكثرون ، وما نجا منه إلا الأقلون . ولم أزل في عنفوان شبابي - منذ راهقت البلوغ - أتقحم لجة هذا البحر العميق وأخوض غماراته خوض الجنوس لا خوض الجبان الحنور ، وأتوغل في كل مظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأتقحم كل ورطة ، واتفحص عن عقيدة كل فرقـة ، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لأميـز بين محق وبطل ، ومقتنـون ومبتدع ، لا أعادـر باطنـياً إلا وأحبـ أن أطلع على بـطانتـه ، ولا ظـاهريـاً إلا وأـ يريدـ أن أعلمـ حـاصلـ ظـاهـارـته ، ولا فـلسـفيـاً إلا وأـقصدـ الـوقـوفـ علىـ كـنهـ فـلسـفـتـه ، ولا مـتكلـماًـ إـلاـ وأـجـتـهدـ فيـ الـاطـلـاعـ علىـ غـاـيـةـ كـلامـهـ وـمـجـادـلـتـهـ وـلـاـ صـوـفـيـاـ إـلاـ وأـحـرـصـ علىـ سـرـ صـفـوـتـهـ ، ولا مـتـبعـداـ إـلاـ وأـتـرـضـدـ ماـ يـرـجـعـ إـلـيـهـ حـاـصـلـ عـبـادـتـهـ ، ولا زـنـديـقاـ مـعـطـلـاـ إـلاـ وأـتـجـسـسـ وـرـاءـ لـلـتـنبـهـ لـأـسـيـابـ جـرـأـتـهـ فـيـ تعـطـيلـهـ وـرـنـدقـتـهـ .

وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديني ، من أول أمري وريغان عمرى غريزة وفطرة من الله وضعتنا في جبلتى ، لا باختيارى وحيلتى ، حتى انحلت عنى رابطة

التقليد ، وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد بسن الصّين (١) .

ولاشك عندنا أن الغزالى كان يحاول البحث عن الحقيقة بكل المدارك والمعارف الحسية والعقلية والقلبية . ولأنه عقلية من طراز فريد للغاية فإنه كان يريد المعرفة الحقيقة والعلم الصحيح بحقائق الأمور . ويقول في ذلك إنما مطلوب العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي ؟ فظاهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشفا لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلاً من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً ، لم يورث ذلك شكاً وإنكاراً ... ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا تقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني (٢) .

إنه يريد العلم الذي يحدث معه الأمان النّقسي والعقلى والقلبى ، العلم الذي لا يورث الشك والإشكال بل الطمأنينة والإستقرار .

وكي يصل إلى الحق ويطعمن إلى معرفته كان لابد من أن يستخدم منهج الشك ليصل إلى الحقيقة والأمان .

ولقد كان الغزالى يعيش في عصر يموج بالفرق والفتن مما ساعده على بنوغ الشك المنهجي عنده فهناك فرق متعددة كل فرقة منها ترى أنها على الحق وأنها الناجية وأن منهجها هو الذي يؤدى بالإنسان إلى الأمان والطمأنينة .

لكن ما هي وسيلة الإدراك والمعرفة هل يمكننا بالحس أن نصل إلى معرفة حقة يقينية لا شك بعدها . هل يمكن للعقل أن يصل بالإنسان إلى بر الأمان أم أن هناك وسائل أخرى للمعرفة الحقة اليقينية .

وأما المحسوسات يقول الغزالى حين اختبرها " أقبلت بجد بلية أتأمل فى المحسوسات والضروريات ، وأنظر هل يمكننى أن أشكك نفسى فيها ، فانتهى بي طول

(١) المتفق من الفضائل للغزالى ص ٦٦ .

(٢) المتفق من الفضائل للغزالى ص ٦٩ .

التشكيك إلى أن تُقْسِي لم تسمح بتسليم الأمان في المحسوسات ، وأخذ يتسع هذا الشك فيها ويقول : من أين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر وهي تتضرر إلى الظل فتراه واقفا غير متحرك ، وتحكم بنفي الحركة ؟ ثم بالتجربة والمشاهدة ، بعد ساعة تعرف أنه متحرك ، وأنه لم يتحرك دفعة بفتحة ، بل على التدرج ذرة ذرة ، حتى لم تكن له حالة وقوف ، وتتضرر إلى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار بيinar ، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار . هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ، ويكتبه

حاكم العقل ويختونه تكتيبيا لا سبيل إلى مدافعته " فقلت : بطلت الثقة بالمحسوسات . (١)

إن هذا الإمتحان السريع للمحسوسات أكد للفزالي أن شكه فيها باعتبارها وسيلة من وسائل الإدراك والمعرفة اليقينية - كان - شكا صحيحا . ذلك أن الحس قد يحكم على المتحرك بأنه ثابت واقف ، وعلى الكبير جدا بأنه صغير . ومن هنا فإنه لا يجوز للحس أن يكون طريرا لمعرفة العلم اليقيني .

وبعد أن تبين للفزالي أن الحس لا يمكن أن يكون طريرا لمعرفة العلم اليقيني وجذبناه يحاول أن يختبر العقل فيقول " قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا فلعله لا ثقة إلا بالعقليات التي هي من الأوليات ، كقولنا : العشرة أكثر من الثلاثة والنفي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما ، موجودا معدوما واجبا محالا . فقالت المحسوسات : لم تؤمن أن تكون تفكك بالعقليات كثفك بالمحسوسات ، وقد كنت واثقا بي ، فجاء حاكم العقل فكتبني ، ولو لا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ؟ فلعل وراء إدراك العقل حاكما آخر ، إذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم العقل فكتب الحس في حكمه ، وعدم تجلى ذلك الإدراك لا يدل على استحالته ، فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا ، وأيدت إشكالها بالمنام وقالت : أما تراك تعتقد في النوم أموراً وتخيل أحوالاً وتعتقد لها ثباتاً واستقراراً ، ولا تشک في تلك الحالة فيها ، ثم تستيقظ فتتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك وعوائقك أصل وطائل ؟ فبم تؤمن أن يكون جميع ما تعتقد في يقظتك بحسب أو عقل هو حق بالإضافة إلى حالتك التي أنت فيها ، لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون

(١) المتفق من الفضلال للفزالي : ص ٧١

نسبتها إلى يقظتك ، كنسبة يقظتك إلى منامك ، وتكون يقظتك نوما بالإضافة إليها ، فإذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهنت بعقولك خيالات لا حاصل لها ، ولعل تلك الحالة ما تدعى الصوفية أنها حالتهم : اذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي لهم إذا غاصوا في أنفسهم وغابوا عن حواسهم أحوالا لا توافق هذه المقولات ، ولعل تلك الحالة هي الموت إذ قال الرسول ﷺ : الناس نائم فإذا ماتوا انتبهوا ١) فلعل الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة ، فإذا مات ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الان ، ويقال له عند ذلك (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ٢) فلما خطرت لي هذه الخواطر وانفتحت في النفس حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر إذ لم يكن دفعه إلا بالدليل ولم يمكن تنصيب دليل إلا من تركيب العلوم الأولية . فإذا لم تكن مسلمة لم يمكن ترتيب الدليل ، فاعضل هذا الداء ، ودام قريبا من شهرين أنا فيما على مذهب السفسطة بحكم الحال ، لا بحكم المبنط والمقال ، حتى شفى الله تعالى عن ذلك المرض ، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثقا بها على أمن ويقين ، ولم يكن ذلك ينظام دليلا وترتيب كلام بل بنور قنفه الله تعالى في الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد خبيق رحمة الله تعالى الواسعة ٣)

وكانت تجربة المرض فرصة رائعة منحها الله لعبد العالم الباحث عن اليقين كى يعرف بنفسه طريق الأمان فقد قذف الله تعالى في صدره نورا كشف له حقيقة أكثر المعارف ، وكانت رحمة الله به واسعة حافنة فهداه سبحانه وتعالى إلى (نور على نور) ، النور الأول نور العقل والنور الثاني نور البصيرة وكشف الله تعالى عنه غطاءه وشكه ، وأندرك أن من يهب الله طريق النور والكشف يستطيع أن يصل إلى العلم اليقيني الذي لا شك بعده ، ولا يستطيع أن يصل إلى مرتبة الكشف إلا الواحد بعد الواحد من اختيارهم الله

(١) لم يصح هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هذا القول حكمة من حكم الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) سورة ق آية ٢٢

(٣) المقذ من الضلال للغزالى : من ٧٣ : من ٧٤ .

وقد في صدورهم نورا هو مفتاح المعرفة و درب الأمان النفسي والعقلى والقلبي .
 يقول الغزالى " عادت النفس إلى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية
 مقبولة موثقا بها على أمن ويقين ، ولم يك ذلك بنظر دليل ، ولا ترتيب كلام ، بل بنور قنفه
 الله تعالى في الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعاوز فمن ظن أن الكشف موقوف على
 الأدلة المحورة فقد خبيق رحمة الله تعالى الواسعة ولما سئل رسول الله عليه السلام عن
 " الشرح " و معناه في قوله تعالى (فمن يريد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) قال :
 (١) هو نور يقنه الله تعالى في القلب . فقيل : وما علمته ؟ فقال : التجاقي عن دار
 الغرور ، والإنابة إلى دار الظروء . (٢)

ويفرق الغزالى جيدا بين المعرفة عن طريق الحواس والمعرفة عن طريق القلب فيقول
 في روعة وجمال لا حد لهما في معارج القدس ثم فرضنا خوضنا مجوسرا في الأرض ،
 احتمل أن يتساق إليه الماء من فوقه يأنهار تفتح فيه ، ويحتمل أن يحفر أسفل الأرض
 ويبرقع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي ، فيتفجر الماء من أسفل الأرض ،
 ويكون ذلك الماء أصفى وأذوم ، وقد يكون أغزر وأكثر ، فلذلك القلب مثل الأرض ، والعلم
 مثل الماء ، وتكون الحواس الخمس مثل الأنهاي . وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب
 بواسطة أنهاي الحواس والإعتبار بالمشاهدات حتى يمتلى « علما . ويمكن أن تسد هذه
 الأنهاي بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه
 حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله » . (٣)

يقول الأستاذ بيبر " لا شك أن الغزالى أعجب شخصية في تاريخ الإسلام ومذهب
 صورة لشخصيته ، فلقد أدرك الغزالى في تصوفه أن المسألة الدينية أعمق مما أدركها
 فلاسفة عصره ، فقد كان هؤلاء الفلاسفة عقليين في نزاعتهم شأن فلاسفة اليونان ،
 فاعتبروا أن مقررات الدين ثمرة للتخييلة أو الوهم من جانب الشارع . ورأوا أن دين

(١) أخرج هذا الحديث ابن جرير وعبد الرانق وابن أبي حاتم .

(٢) المنقد من الفضلال للغزالى من ٧٤ .

(٣) معارج القدس للغزالى ص ١٢٤ طبعة القاهرة ١٩٢٧ .

المتدينين إما انقياد وطاعة عمياء لدى البعض ، أو هو ضرب من المعرفة فيه حقائق ألمى مرتبة من حقائق الفلسفة لدى البعض الآخر وجاء الفرزالي فبين أن الدين نونق وتجربة من جانب القلب والروح وليس مجرد أحكام شرعية أو عقائد تلقى ، بل هو تجربة يحسها المتدين بروحه إحساسا حيا ، ويمارسها عمليا .^(١)

ومن هنا تكون الإرادة الحررة للإنسان المؤمن هي أحسن سمات التجربة النونقية للوصول إلى المعرفة اليقينية . فالإيمان النونقى يؤدي إلى التحرر ، والعبودية لله وحده تعنى التحرر من عبادة العبيد ومن الطواغيت المختلفة ومعنى أنى أتنونق التجربة أنى أمارس إرادتى بحرية ومعنى أنى حر أنى موجود وجودا حقيقيا وكلما اقتربت من الله تعالى ازدادت حريرتى يقينا وإذا ما وصلت إليه كنت الحر على الحقيقة وكنت عبد الله المحب للحقيقة والواصل إلى اليقين .

٢ - الشك بين الفرزالى وديكارت :

الحقيقة أن الفرزالى قد استفاد من شكه المنهجي فائدة عظيمة أدت به إلى المعرفة اليقينية . وبهذا المنهج الشكى التميز سبق الفرزالى ديكارت صاحب الشك المنهجى المعروف فتجارب ديكارت "قوضت" شيئا فشيئا كل ما لديه من ثقة في الحواس كذلة للمعرفة الصحيحة ، إذ لاحظ كثيرا أن الأبراج التي تبدو للرأى مستديرة عن بعد ، تبدو في نظره مربعة متى كان قريبا منها ، وأن التماثيل الضخمة التي تعلو قممها ، تبدو صغيرة الحجم متى نظر إليها من أسفل . بل لاحظ في كثير من المناسبات أن أحكامه التي يقيمها على حواسه الداخلية كثيرا ما تخطى ، وقد عرف من أشخاص بترت سيقانهم أو أذرعهم أنه كان يلوح لهم أحيانا أنهم يحسون ألمًا في العضو المبتور منهم ، فدعاه هذا إلى الإعتقد بأنه لا يستطيع أن يكون على يقين من وجود ألم حقيقى يصيب عضوا فى جسمه حتى ولو أحس هذا الألم .

هذا وهناك سببان آخران يبرران الشك فى المعرفة الحسية .

(١) تاريخ الفلسفة فى الإسلام لبيور ترجمة د . محمد عبد الهاوى أبو ريدة من ٢٧٢ .

أولهما : أنه ما أحس شيئاً في يقظته إلا ظن أن في وسعه أن يحسه أثناء النوم ، وهو لا يظن أن ما يحسه في نومه صادر بالفعل عن أشياء خارجية لهذا لم يجد مسوغاً يسوع له تصديق ما يحسه في يقظته أكثر من تصديق ما يحسه أثناء نومه .

وثاني السببين : أنه كان قد زعم أنه لا يعرف بعد خالقه - وهو خامن المصدق في تفكيره - ولهذا لم يجد ما يمنعه من الشك في الطبيعة ، والظن بأنهما هيأتاه أو خلقته بحيث يخطئ حتى فيما يلوح له أنه أصح الأشياء وأصدقها (١) .

ومن خلال هذه الرؤية الديكارتية للشك تلمس بسهولة متناهية مدى ما تحتويه من منهج الغزالى للوصول إلى المعرفة اليقينية ، فيجاد ديكارت أن يستخدم - إلى حد كبير - نفس منهج الغزالى في الشك من أجل تأسيس المعرفة الحقة .

وبالإضافة إلى وجود التشابه القوى بين الغزالى وديكارت فى مسألة المعرفة فإن هناك أيضاً تشابهاً بينهما فى مسألة موقف العقل من الوحي .

فمن المعروف أن ديكارت « نهى حقائق الوحي عن مجال العقل لأنها - في رأيه - لا تترك إلا بمدد من السماء خارق للعادة » (٢) .

وكما نعلم أن العقل عند الغزالى - قاصر على إدراك المسائل الإلهية التي لا نعرفها إلا من خلال خبر السماء الموحى لنبي معصوم .

ومن هنا فإن الفلسفة عنده لم يتمكنوا من إدراك شيء في علومهم الإلهية لأن براهين الإلهيات عندهم ليست قاطعة كبراين الهندسيات .

وقد بين الغزالى بوضوح وجلاءً أن الشك المنهجي طريق للإدراك والمعرفة اليقينية الأصيلة ، وجلى لنا حقيقة كبيرة وهي أنه من لم يشك لا يصل إلى المعرفة الحقة ولا يعرف اليقين التام .

كما أظهر لنا أن العقل الإنسانى لا يستطيع أن يدرك الحقائق الكبرى لقصوره عن

(١) أسس الفلسفة الدكتور توفيق الطويل ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ . ط ٢ .

(٢) المرجع السابق صفحة ٢٣٥ .

ذلك ولأن فوقه قوة أعظم ولها حجم العقل في استخدام المناهج الفلسفية ، وبين أن المنهج التوقي الصوفي لما فوق العقل .

وقد انتهى ديكارت إلى ما انتهى إليه الغزالي من قبله بعده قرون من أن الناس تستمد الثقة في قدرة الحواس والعقل من الإيمان بوجود الله تعالى وثقتهم برحمته . فديكارت يؤمن بإيماناً قوياً بأن الله تعالى لا يمنحك إلا خادعة مضللة ، حقيقة أنها قد تعطينا معرفة ليست يقينية لكنها - أي الحواس والعقل - وسائل معرفة منهما الله للإنسان ولابد من استخدامها استخداماً مناسباً .

يقول ديكارت في "تأملاته" (١) كل ما تلقيته حتى اليوم وأمنت بأنه أصدق الأشياء ، وأوثقها ، قد اكتسبته من الحواس . أو بواسطة الحواس ، غير أنه جرب هذه الحواس في بعض الأحيان فوجئت بها خداعاً ، ومن الحكمة أن لا نطمئن كل الأطمئنان إلى من خدعونا ولو مرة واحدة .

لكن قد يقال : لئن كانت الحواس تخدعنا بعض الأحيان في أشياء ، صفيحة جداً ، وبعيدة جداً عن متناولنا فقد نقع على أشياء كثيرة أخرى ، لا نستطيع أن نشك فيها شكاً يقبله العقل ، وإن كنا نعرفها بطريق الحواس .
مثال ذلك أنه هنا جالس قرب النار ، ولا يلبس عباءة المنزل ، وهذه الورقة بين يديه ، وأشياء أخرى من هذا القبيل .

وكيف أستطيع أن أنكر أن هاتين اليدين ، يداي ، وهذا الجسم جسم ، اللهم إلا إذا أصبحت مثيلاً لبعض المخلوقين الذين اختلط أدمنتهم وخشى عليها بسبب الأبخرة السوداء ، الصاعدة من المراة فما ينتظرون يؤكدون أنهم ملوك ، في حين أنهم فقراء جداً . وأنهم يلبسون ثياباً موشاة بالذهب والإبراجوان ، في حين أنهم في غاية العرى أو يتخيّلون أنهم جرار ، وأن لهم أجساماً من زجاج .

(١) التفكير الفلسفي للدكتور سليمان بنينا رحمة الله رحمة واسعة من ١١٢ : من ٢١٤ نقل عن التأملات لنيكارت صفحات ٤٥ ، ٥٦ ، ٥٧ .

ألا إنهم مجانيون ، وإن أكون أنا أقل منهم إسراها وخيلاً إذا اقتربت بهم ونسجت على
منوالهم .

ولكن ينبغي على هنا أن اعتير أنني إنسان ، وأن من عادتي لذلك أن أتألم ، وأن أرى
في أحلامي عين الأشياء التي يتخيلها هؤلاء المخربون في يقظتهم ، بل قد أرى أحياناً
أشياء أبعد عن الواقع مما يتخيلون .

كم من مرة وقع لي أن أرى في المنام أنني في هذا المكان ، وأنني لا بس ثيابي وأنني
قرب النار ، مع أنني أكون في سريري متجرداً من ثيابي .

يبدو لي الآن أنني أنتظر إلى هذه الورقة بعينين نائتين ، وأن هذا الرأس الذي أحمله
ليس ناعساً ، وأنني أبسط هذه اليدين وأقبضها عن قصد ووعي .

إن ما يقع في النوم لا يبدو مثل هذا كله وضوحاً وتميزاً ، ولكن عندما أطيل التفكير
في الأمر ، أتذكر أنني كثيراً ما اخترت في النوم بأشياء هذه الرؤى ، وعندما أقف عند هذا
الحاطر أرى بغاية الجلاء أنه ليس هناك أمارات يقينية ، نستطيع بها أن نميز بين اليقظة
والنوم تميزاً يقيناً ، فيساورني الذهول ، وإن ذهولي لعظيم ، حتى أنه يكاد يصل إلى
اقناعي بأنني نائم .

واذن فلنفرض الآن أننا نائمون وأن جميع هذه الخصوصيات من فتح العين وهو
الرأس ويسقط اليدين ، وما شابه ذلك ، إن هي إلا رؤى كاذبة .

ولنذهب إلى أنه لم تكن أيدينا ولا أجسامنا بأكملها ، علي نحو ما نراها ، لكن لابد
على الأقل من أن نسلم بأن الأشياء التي تمثل لنا في النوم ، كلوحات وصور ، لا يستطيع
تكوينها إلا على غرار شيء واقعي و حقيقي .

واذن فهذه الأشياء العامة على الأقل - كالعينين والرأس واليدين والجسم بأكمله -
ليست أشياء متخيلة بل هي واقعية موجودة .

فالحقيقة أن المصورين ، وإن كانوا يبدلون ما أوتوا من مهارة في تمثيل بنات
البحر ، والتيوس الآدمية ، في أشكال ، هي غاية في الغرابة ، والبعد عن المألوف ، لا
يستطيعون مع هذا أن يصفوا عليها أشكالاً وطبعاً جديدة كل الجدة ولكنهم إنما يصنعون

مزيجا من أعضاء حيوانات مختلفة ، وإن ما تيسر لهم من شطط الخيال مما يحملهم على أن يبتدعوا شيئاً يبلغ من جدته أن أحداً لم ير قط له مثيلاً ، ويكون عملهم لذلك شيئاً مختلفاً أصلاً ، وذائفاً اطلاقاً ، فلابد على الأقل من أن تكون الألوان التي يقابلونها منها حقيقة .

ويمكن أن يقال ، قياساً على السبب المتقدم : إنه لوحظ أن هذه الأشياء العامة - أعني الجسم والعينين والرأس واليدين وما شابه ذلك - يمكن أن تكون خيالية ، فإنه لا مناص مع ذلك من الإقرار بأن هناك على الأقل أشياء أخرى أبسط وأشمل منها ، وهي حقيقة موجودة ، ومن امتراجها على نحو ما تمتزج بعض الألوان الحقيقة ، يتكون كل ما يقوم في فكرنا من صور الأشياء ، سواء كانت هذه الصور حقيقة واقعية ، أو مختلفة وهمية . ومع ذلك فإن معتقداً قد رسم في ذهني منذ زمن طويل ، وهو أن هناك إليها قادراً على كل شيء ، وهو حسانعى وخلقى على نحو ما أنا موجود .

فما يدرىنى لعله قضى بأن لا يكون هناك أرض ولا سماء ، ولا جسم معتد ، ولا شكل ولا مقدار ولا مكان ، ويدبر مع ذلك أن أحسَّ هذه الأشياء جميعاً وأن تبدو لي موجودة على نحو ما أراها .

بل لما كنت أرى أحياناً أن غيري يغلطون في الأمور التي يحسبون أنهم أعلم الناس بها ، فما يدرىنى لعله قد قدر ، أن أغلط أنا أيضاً ، كلما جمعت اثنين وثلاثة ، أو أحصيت أضلاع مربع ، أو أطلقت حكماً على شيء أسهل من ذلك لو أمكن أن نتصور شيئاً أسهل منه .

ولكن لعل الله لم يشأ إضلالى على هذا النحو ، لأنه سبحانه كريم رحيم .

ومن قبل "ديكارت" عرض الغزالى المسألة نفسها والحل نفسه ونص الغزالى في هذا الشأن قد ذكرناه من قبل . ومن الأفضل أن نؤكده مرة ثانية قال الغزالى :

« فانتهى بي طول التشكيك إلى أنه لم تسمع نفسى بتسليم الأمان فى المحسوسات ، ومن أين الثقة بها ، وأقوى الحواس حاسة البصر ، وهى تنظر إلى الظل فتراه واقفاً غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرك ، وأنه لم يتحرك دفعة بفتحة ، بل على التدرج ذرة ذرة ، حتى لم تكن له حالة وقوف .

وينتظر إلى الكواكب فتراه صغيرا في مقدار دينار ، ثم الأدلة الهرنسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار .

هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بحكماته ، ويكتبه حاكم العقل ويخونه تكتيبيا لا سبيل إلى مدافعته » . (١)

ويحتمل أن ديكارت قد قرأ النص اللاتيني للمنقد وعرف رأى الغزالى ومنهجه الشكى من خلال أحد معارفه أو أصدقائه من اطلعوا على فكر الغزالى وأعجبوا به .

٣ - الغزالى وأصحاب الوضعيية الحديثة :

لقد سبق الغزالى بفكرة المبدع أصحاب الوضعيية الحديثة . فقد وافقوه في مسائلتين مهمتين :

أولاًهما : أن الغزالى وأصحاب الوضعيية الحديثة يتفقان في مسألة يقينية العلم الصورية فالاثنان يعتبران العلوم الرياضية والمنطقية علوماً يقينية .

والمسألة الثانية : أن الاثنين يتفقان في اعتبار العلوم التي تقوم على التجربة والمعرفة التجريبية علماء احتمالية أو ترجيحية وليس العلوم التجريبية ترقى إلى رقى اليقين في العلوم الصورية .

وقد اختلف أصحاب الوضعيية الحديثة مع الغزالى في مسألة واحدة وهي أنه يقول بالمعرفة الغيبية "الميتافيزيقا" أساساً من أسس المعرفة ويرد الغزالى المعرفة الغيبية إلى خبر السماء والوحى أى أنه يردها إلى خبر النبي المعصوم .

أما أصحاب الوضعيية الحديثة فإنهم ينكرون الميتافيزيقا (المعرفة الغيبية) إنكاراً تماماً .

والغزالى كما أشرنا يعرف تماماً أن المعرفة التجريبية عن طريق الحواس معرفة

(١) المنقد من الفضائل للغزالى من ٧٦ .

ترجيحية احتمالية لا ترقى إلى درجة اليقين الكامل وهو لا يرى ترابطًا بين السبب والسبب وأنه ليس ضرورياً الاقتران بين الاثنين أى بين السبب والسبب وليس إثبات أحدهما متضمناً لإثبات الآخر ، ولا نفيه متضمناً لنفي الآخر ، فإن اقترانهما لما سبق من تقدير الله سبحانه وتعالى . ولنستمع إلى الغزالى وهو يقول هذه المعانى فى نص رائع بديع (١) "الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وبين ما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا : بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذلك هذا ولا إثبات أحدهما متضمناً لإثبات الآخر ، ولا نفيه متضمناً لنفي الآخر ، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ، مثل الرى والشرب ، والشبع والأكل ، والاحتراق ولقاء النار ، والتور وطلوع الشمس ، والموت وجز الرقبة ، والشفاء وشرب الدواء ، وإسهال البطن واستعمال المسهل ، وهلم جرا إلى كل المشاهدات المقتربات فى الطب والنجم والصناعات والحرف .

فإن اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه ، يطلقها على التساوى لا لكنه ضرورياً فى نفسه ، غير قابل للفت ، بل فى المقدور خلق الشبع دون الأكل ، وخلق الموت دون جز الرقبة ، وإدامه الحياة مع جز الرقبة . وهلم جرا إلى جميع المقربات .
وأنكر الفلاسفة امكانه وادعوا استحالته .

والنظر فى هذه الأمور الخارجة عن الحصر يطول ، فلنعني مثلاً واحداً هو الاحتراق فى القطن مثلاً عند ملاقاة النار ، فابننا نجروز وقوع الملاقاة بينهما دون الاحتراق ، ويوجز حدوث انقلاب القطن رماداً محترقاً دون ملاقاته النار وهم ينكرون جوازه .

والكلام فى هذه المسألة ثلاثة مقامات :

المقام الأول : أن يدعى الخصم أن فاعل الاحتراق هو النار فقط ، وهو فاعل بالطبع لا بال اختيار ، فلا يمكنه الكف عما هو في طبيعته ، بعد ملاقاته لحل قابل له .
وهذا مما ننكره ، بل نقول : فاعل الاحتراق - يخلق السواد فى القطن والتفرق فى أجزائه ، وجعله حُرّاقاً رماداً - هو الله تعالى ، إما بواسطة الملائكة أو بغير واسطة ، فاما النار - وهي جماد - فلا فعل لها .

(١) تهافت الفلاسفة للغزالى ج ١ ص ٤٤ ، ٤٥ .

فما الدليل على أنها الفاعل ، وليس لهم دليل ، إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقة النار ، والمشاهدة تدل على الحصول عندها ، ولا تدل على الحصول بها ، وأنه لا علة له سواها الخ .

والواقع أن الغزالى يريد أن يقول أن لا فاعل في الحقيقة إلا الله فهو اليقين الذى ما بعده يقين . ولهذا لا يجوز نسبة العلية إلا إلى سبحانه وتعالى فهو الفاعل على الحقيقة وهو العلة الأولى وهو كما يقول الغزالى قبل وجود العالم كان المرید موجودا والإرادة موجودة ، ونسبتها إلى المراد موجودة ، ولم يتجدد مرید ، ولم تتجدد إرادة ، ولا تجدد للإرادة نسبة لم تكن قبل .

ويقول الغزالى « إن الله يجوز أن يخلق ما يسمى علة بدون أن يخلق ما يسمى معلوما » (١) . وهذا ما أشار إليه فيما بعد مالبرانش (ت ١٦٧٧ م) وهيموم (ت ١٧٧٦ م) . وقد قال هيموم « بأن التجربة ترينا فقط أن واقعة ما ينتج عنها أخرى دون أن تبين لنا ارتباطا ضروريا بينهما ، أى الارتباط الذى يراد بهذا التعبير علاقة السببية » (٢) . بل أن « مالبرانش » يصرح بأن السبب الحقيقى الذى الشئ به هو الله وحده ، فإن السبب الحقيقى فى رأيه هو ما يرى العقل ارتباطا ضروريا بينه وبين ما ينتج عنه ، وهذا ما لا يراه العقل إلا لله الذى يكون عن إرادته وحدها كل شئ ، ولا يمكن أن يجعل الله هو القوة لشئ مما خلق ، وإلا لتعدد الآلهة الخالقة . ومن ثم فإن الإنسان حين يحرك ذراعيه مثلا يفعل هذا بقوه ليست فى الحق منه (٣) .

ومن ناحية أخرى فإن الغزالى لا يرى تناقضًا بين العقل والشرع ويؤكد أهمية الجمع بين العلوم العقلية والشرعية فيقول في إحيائه « وفن من يظن أن العلوم العقلية مناقضه للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن ، هو فتن صادر عن عمى في عين البصيرة ...

(١) تهافت الفلسفة للغزالى صفحة ٢٧٨ .

(٢) عن الدكتور محمد يوسف موسى رحمة الله في كتابه « بين الدين والفلسفة » ص ١٩٤ . نقل عن تاريخ الفلسفة الحديثة بالفرنسية لهوفدينج .

(٣) المرجع السابق صفحة ١٩٤ .

فالداعي إلى فحص التقليد مع عزل العقل بالكلية جامل ، والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغزور . فيياك أن تكون من أحد الفريقين ، وكن جامعا بين الأصلين ، فإن العلوم العقلية للأغذية ، والعلوم الشرعية للأدوية (١) .

* * *

(١) إحياء علوم الدين للغزالى من ٢٠ .

ثانياً : أصناف الطالبين عند الغزالى

١ - الغزالى .. وعلم الكلام :

أراد الغزالى أن يبحث عن الحقيقة عند الفرق المختلفة فهو لاء هم السالكون سبل الحق فما يسرع بتتبع واستقراء ما عند هذه الفرق فابتداً بالتكلمين وثم بالفلسفه وثالث بالباطنية ورابع بالصوفية .

وعن مقصود علم الكلام يقول الغزالى " صادفته علماً وافقاً بمقصوده ، غير واف بمقصودي ، وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة على أهل السنة ، وحراستها عن تشويش أهل البدعة ." (١)

يقصد الغزالى أن مقصود علم الكلام هو حفظ العقيدة على مسلم أخذ مبادئه من القرآن والسنة أى حفظهما من كل شكوك يضعها أعداء الإسلام حول مبادئه وأصول الدين ... هذا هو مقصود علم الكلام فهو علم لا يعتقد بصححة قضيائاه إلا المؤمن بعقائده أصلًا .

أما مقصود الغزالى فقد كان إدراك قواعد الدين إدراكاً يقينياً وأخضاً يستند إلى العقل . وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلًا ، فلم يكن الكلام في حق كافياً ، ولا لداني الذي كنت أشكوه شافياً . (٢)

ويقول الغزالى عن علماء الكلام " وكان أكثر خصوصهم في استخراج متناقضات الخصوم وما خذلهم بـ لوازم مسلماتهم " . (٣)

وكان الغزالى موضوعياً في تفكيره حين قال " فلم يكن الكلام في حق كافياً ولا لداني الذي كنت أشكوه شافياً . نعم : لما نشأت صنعة الكلام وكثير الخوض فيه وطالت المدة ، تشوق المتكلمون إلى محاولة النب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور وخاصة في

(١) المقدمة من الضلال للغزالى ص ٧٩ .

(٢) ، (٣) المرجع السابق ص ٨٠ .

البحث عن الجوادر والأعراض وأحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم ، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى ، فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق ولا أبعد أن يكون قد حصل ذلك لغيري بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات والغرض الآن حكايه حالى ، لا الإنكار على من استشفي به فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء وكم من دواء ينفع به مريض ويضره آخر .^(١)

ومن زاوية أخرى فإن الغزالى يعرض قيمة علم الكلام ويعده من العلوم التى هي لباب وجواهر . لا علوم القشور . فقد قسم الغزالى فى كتابه « جواهر القرآن » العلوم إلى علوم هي قشور وعلوم هي لباب . ومن العلوم القشور عنده النحو . وقسم علوم اللباب طبقتين ، إحداهما أقل قيمة من الأخرى ، وقسم الأقل قيمة إلى ثلاثة جعل القسم الثانى هو محاجة الكفار ومجادلتهم ، ومنه يتشعب علم الكلام قال : (المقصود لرد الضلالات والبدع ، وإزالة الشبهات سميينا الطبيقة القريبة منها « الرسالة القدسية » والطبيقة التى فوقها « الاقتصاد فى الاعتقاد » .

ومقصود هذا العلم حراسة عقيدة العوام من تشويش المبتدعة ^(٢) . وطبعى أن هذا يعني أن الغزالى يعرف أثر علم الكلام فى الدفاع عن العقيدة أمام المبتدعة كما أنه اعتبره من علوم اللباب لا علوم القشور . وقد ألف كتب كلامية متعددة من أهمها : « الاقتصاد فى الاعتقاد » و « الدرة الفاخرة » .

ويتضح من ذلك أن الغزالى كان موضوعيا مع نفسه فهو وإن ألف فى علم الكلام إلا أنه يعترف بأنه غير واف فى موضوعه كما أنه لا ينكر على من استفاد به فقد ينتفع بالدواء مريض ويستضره آخر .

ولا غرو فى ذلك فقد كان الغزالى خبيرا بعلم الكلام يعرف سائر مسائله ومدى منفعته يقول فى « إحياءه » « وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هو

(١) المرجع السابق ص ٨٠ ، ص ٨١

(٢) جواهر القرآن للغزالى ص ٢١ .

عليه ، وهنئات ، فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخييب والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف ، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ، ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلو ، فاسمع هذا من خبر الكلام ثم قل له بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاؤ ذلك إلى التعمق في علوم آخر تتناسب نوع الكلام ، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود » . (١)

وقد أخذ الغزالى على علماء الكلام عدة أشياء فقال :

« إن حاصل ما يشتمل عليه الكلام من الأدلة التي ينتفع بها ، يشتمل عليها القرآن والأخبار ، وما خرج عنهما فهو محاولة مذمومة وهي من البدع وإما مشاغبة « مخاصمة » بالتعلق بمناقضات الفرق لها ، وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات ، وهذينات تزدريها الطباع ، وتجدها الأسماع ، وبعضها خوض فيما يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مأولاً في العصر الأول ، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع » . وضرب الغزالى لذلك مثلاً : فقال : « إن معرفة الله وصفاته وأفعاله لا تحصل من علم الكلام ، بل يكاد الكلام حجاباً عليه ومانعاً منه ، وإنما الوصول إليه بالمجاهدة » .

وفي كتابه « إلحاد العوام عن علم الكلام » أنكر الغزالى على عوام الناس أن يستغلو بعلم الكلام ، وقال إن دين عوام الناس ينبغي أن يكون صافياً نقياً بعيداً عن تعقيدات الجدليين والمتكلمين ولهذا ينبغي إلحاد العوام عن علم الكلام وهذا ما أكدته أيضاً فيصل التفرقة .

يقول الغزالى : إذا تركنا المداهنة ومراقبة الجانب ، صرحتنا بأن الخوض في « الكلام » حرام لكثرة الآفة فيه إلا لأحد شخصين : رجل وقعت له شبهة ليست تنزل عن قلبه بكلام قريب وعظى ولا بخير نقله والشخص الثاني كامل العقل راسخ القدم في الدين ثابت الإيمان بآثار اليقين ، يريد أن يحصل هذه الصفة ليداري بها مريضاً إذا وقعت له شبهة ، وليفخم بها مبتداعاً إذا نبغ وليرحوس بها - معتقداً إذا قصد مبتدع إغراءه . فإذا حصل

(١) الإحياء للغزالى من ١٩٨ .

هذه الصفة كان ذلك من فرض الكفايات ، والإيمان الراسخ على الحقيقة هو إيمان العوام الحاصل في قلوبهم من الصبا بتواءل السماع .. وتمام تأكده بلزوم العبادة والذكر فإن من تعادت به العبادة إلى حقيقة التقوى وتحطيم القلب من كثورات الدنيا ، وملازمة ذكر الله دائما ، تجلت له أنوار المعرفة ، وصارت الأمور التي كان قد أخذها تقليدا عنده كالمعاينة والمشاهدة . و « الكلام » المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جدا ، مشرف على النزال بكل شبهة « (١) »

مكذا نلاحظ أن الإمام الغزالى يقول بأن الإيمان عند العوام هو الذي يكون في قلوبهم عن طريق السماع والتواتر وأن كمال هذا الإيمان يكون بكثره العبادة والذكر حتى تتضح له أنوار المعرفة اليقينية ، ويصير ما أخذه قبل ذلك بالسماع والتواتر والتقليد مشاهدة .

وكان الإمام الغزالى نموذجا لل الفكر الإسلامي الصحيح ولهذا كشف بجرأة عن التعصب الدينى لدى بعض المتكلمين الذين اتهموا الفرق المخالفة لهم بالكفر والزنادقة ونادى بأنه يجب على المسلمين أن يكتفوا أسلفهم عن أهل القبلة ما داموا يؤمنون بأنه لا إله إلا الله محمد رسول الله وما داموا غير منافقين لها .

وقال أنه لا يصح تكبير مسلم لأن أول نصيحة ديننا تأويلا يخالف تأويل الآخر وأوضحت أن المبادرة إلى التكبير إنما تغلب على طباع يغلب عليهم الجهل وضيق الأفق والتعصب المذهبى الأعمى .

وقال الغزالى في « فيصل التفرقة بين الإسلام والزنادقة » من أشد الناس غلوا وإسراها ، طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا ، ولم يعرف الأدلة الشرعية بأدلةنا التي حررناها فهو كافر .. فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده .. وجعلوا الجنة وفقا على شرذمة يسيره من المتكلمين .. ثم جهلو ما تواتر من السنة .. فلقيت شعرى : متى نقل عن رسول الله ﷺ ، أو عن الصحابة رضى

(١) فيصل التفرقة للغزالى صفحه ٢٠٢ وصفحة ٤ .

الله عنهم ، احضار اعرابى أسلم ، و قوله له : الدليل على أن العالم حادث : أنه لا يخلو عن الأعراض وما لا يخلو عن الحوادث حادث . وأن الله تعالى عالم بعلم ، وقدر بقدرة زائدة على الذات ، لا هي هو ، ولا هي غيره ، إلى غير ذلك من رسوم المتكلمين . . . نعم لست أتكر أنه يجوز أن يكون ذكر أدلة المتكلمين أحد أسباب الإيمان في حق بعض الناس ولكن ليس ذلك بمحضه عليه ، وهو أيضاً نادر ، بل الأنفع الكلام الجار في معرض الوعظ كما يتضمن عليه القرآن ، فاما الكلام المحرر على وسم المتكلمين فإنه يشعر نقوس المستمعين بأنه فيه صنعة جدل ليعجز عنه العالى ، لا لكونه حقاً في نفسه ، وربما يكون ذلك سبباً لرسوخ العناد في قلبه ، ولذلك لا ترى مجلس مناظرة للمتكلمين ، ولا للفقهاء ينكشف عن واحد انتقل من الاعتزال ، أو من بدعة إلى غيره ولا عن مذهب الشافعى إلى مذهب أبي حنيفة ، ولا على العكس .. ولذلك لم تجر عادة السلف بالدعوة بهذه المجادلات ، بل شدداها القول على من يخوض في الكلام ويشتغل بالبحث والسؤال » (١) .

لقد بين لنا الفزالي في السابق مدى سعة أفقه واهتمامه بلب الدين وجواهره وروحه ، وكشف لنا عن حقيقة التعصيب لدى بعض المتكلمين الذين يهتمون بالتقعرات اللغوية والشكلية بينما جوهر الدين أبسط وأوضح من هذه الأدلة والبراهين التي يستخدمونها بلاوعي صحيح ، فالدين يهتم بالجوهر لا بالرسم والعرض .

وفي « فيصل التفرقة » أوضح أن أصول الإيمان ثلاثة :

الإيمان بالله وبرسوله وبال يوم الآخر ، وما عداه ، فروع وأنه لا تكفي في القروع أصلاً إلا في مسألة واحدة ، وهي أن ينكر أصلاً يبيننا علم من الرسول ﷺ عن طريق التواتر .

لكن في بعضها تخطئة ، كما في الفقيهات ، وفي بعضها تبديع ، كالخطأ المتعلق بالإمامية وأحوال الصحابة .

ويقول الفزالي « إن الخطأ في أصل الإمامية ، وتعيينها وشروطها وما يتعلق به لا

(١) فيصل التفرقة للفزالي من ٢ . ٢ باختصار .

يوجب شيئاً منه تكفيراً . فقد أنكر ابن كيسان أصل وجوب الإمامة ولا يلزم تكفيره .
ولا يلتفت إلى قوم يعظمون أمر الإمامة ، ويجعلون الإيمان بالإمام مقوينا بالإيمان
بالله ورسوله . ولا إلى خصومهم المكفرین لهم بمجرد مذهبهم في الإمامة فكل ذلك إسراف
إذ ليس في واحد من القولين تكذيب للرسول عليه أصلًا ، ومهما وجد التكذيب ،
وجب التكفيير ، وإن كان في الفروع ..

وأما الأصول الثلاثة . وكل ما لم يحصل التأويل في نفسه ، وتواتر نقله ولم يتتصور
أن يقوم برهان على خلافه فيخالفته تكذيب محسن .

ومثاله : ما ذكرناه من حشر الأحياء ، والجنة والنار ، وإحاطة علم الله تعالى
بتفاصيل الأمور ، وما يتطرق إليه من احتلال التأويل ولو بالمجاز البعيد ، فتنتظر فيه إلى
البرهان : فإن كان قاطعاً ، وجوب القول به . ولكن إن كان في إظهاره مع العوام ضرر
لتصور فهمهم فإظهاره بدعة . وإن لم يكن البرهان قطعياً ، لكن يفيد ظنا غالباً ، وكان ذلك
لا يعلم ضرورة في الدين كنفي المعتزلة الرؤية عن الله تعالى ، فهذه بدعة وليس بکفر . وأما
ما يظهر له ضرر ، فيقع في محل الاجتهاد والنظر ، فيحتمل أن يکفر ويحتمل أن لا يکفر .
ومن جنس ذلك ما يدعى بعض من يدعى التصوف أنه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالى
اسقطت عنه الصلاة ، وأحلت له شرب الخمر والمعاuchi ، وأكل مال السلطان .

فهذا من لا شك في وجوب قتله ، وإن كان الحكم بخلوده في النار محل نظر ، وقتل
مثل هذا ، أفضل من قتل مائة كافر ، إذ ضرره في الدين أعظم وينفتح به باب من الإباحة
لا ينسد . (١)

هذه هي روح السماحة الدينية الحقة عند حجة الإسلام الإمام الغزالى الذى لا يکفر
مسلمًا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله إلا من أنكر أمراً من أمور الدين معلوماً
بالضرورة كالصلة والزكاة والصوم والحج .

وكم ألح الغزالى على رحمة الله الواسعة فقد سبقت رحمته غضبه ، فقد جاء في

(١) فيصل التفرقة للغزالى صفحه ١٩٥ : ١٩٧ باختصار .

حديث (أول ما خط الله في الكتاب الأول : أنا الله ، لا إله إلا أنا ، سبقت رحمتي غضبى ، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله فله الجنة) .

٢ - الغزالى والفلسفة :

بعد معرفة الغزالى بحقيقة علم الكلام ، ولـى وجهه ناحية الفلسفة علـى ينبع فيها غلتـه فأخذ يعبـع منها عـيا حتى استطاع أن يـعرف حـقيقة الفلـسفة ، وأفـاقـتها وـغـانـقـتها فـقـسـمـ الفلـسـفةـ إـلـىـ ثـلـاثـةـ أـقـسـامـ :

الدـهـرـيـوـنـ : أصحاب القول يقدم العالم ومؤلـاء زـنـادـقـةـ مـلاـحـدـةـ .

وـالـطـبـيـعـيـوـنـ : وـهـمـ الـذـينـ أـكـثـرـوـ بـحـثـهـمـ فـيـ الطـبـيـعـةـ وـعـالـمـ الـحـيـوانـ وـالـنبـاتـ وـتـشـرـيـعـ الـحـيـوانـاتـ فـرـأـواـ عـجـابـ صـنـعـ اللـهـ ، وـلـكـنـهـمـ ذـهـبـواـ إـلـىـ القـوـلـ بـأـنـ النـفـسـ تـمـوتـ وـلـاـ تـعـودـ ، فـجـحدـواـ الـآخـرـةـ وـأـنـكـرـواـ الـحـشـرـ وـالـحـسـابـ وـلـهـذـاـ اـنـهـمـكـواـ فـيـ الشـهـوـاتـ تـتـيـجـةـ إـنـكـارـهـمـ الـجـنـةـ وـالـنـارـ وـمـؤـلـاءـ زـنـادـقـةـ أـيـضاـ .

وـالـإـلـهـيـوـنـ : وـهـمـ الـمـتـاخـرـونـ مـنـهـمـ مـثـلـ : سـقـراـطـ وـأـقـلـاطـوـنـ وـأـرـسـطـوـ وـبـرـيـيـ الـغـزـالـىـ انـحرـافـ فـكـرـهـمـ فـوـجـبـ عـنـدـهـ تـكـفـيرـهـمـ وـتـكـفـيرـ شـيـعـتـهـمـ مـنـ الـمـتـقـلـسـفـةـ الـإـسـلـامـيـيـنـ كـاـبـيـنـ سـيـنـاـ وـالـفـارـابـيـ .

وـبـعـدـ ذـلـكـ يـحـدـثـنـاـ الـغـزـالـىـ عـنـ أـقـسـامـ عـلـومـهـمـ وـيـقـسـمـهـمـ سـتـةـ أـقـسـامـ :

رـيـاضـيـةـ : تـتـعـلـقـ بـعـلـمـ الـحـسـابـ وـالـهـنـدـسـةـ وـالـفـلـكـ ، وـهـىـ عـلـومـ بـرـهـانـيـةـ دـقـيـقـةـ وـلـعـلـ دـقـةـ بـرـاهـيـنـهـاـ حـمـلـتـ الـبـعـضـ عـلـىـ حـسـنـ الـاعـتـقـادـ فـيـ الـفـلـاسـفـةـ .

مـنـطـقـيـةـ : وـهـىـ تـخـصـ بالـنـظـرـ فـيـ طـرـقـ الـأـدـلـةـ وـالـقـيـاسـ وـشـرـوـطـ مـقـدـمـاتـ الـبـرـهـانـ وـهـوـ الـقـيـاسـ الـمـؤـلـفـ مـنـ الـيـقـيـنـيـاتـ وـكـيـفـيـةـ تـرـكـيبـ مـقـدـمـاتـ الـبـرـهـانـ وـشـرـوـطـ الـحـدـ الصـحـيـحـ وـكـيـفـيـةـ تـرـتـيـبـهـ وـأـنـ الـعـلـمـ إـمـاـ تـصـورـ (وـهـوـ إـبـرـاكـ الـمـاـهـيـةـ بـدـونـ أـنـ يـحـكـمـ عـلـيـهاـ بـنـقـىـ أـوـ إـثـبـاتـ) وـسـبـيلـ مـعـرـفـتـهـ الـحـدـ ، وـإـمـاـ تـصـدـيقـ وـسـبـيلـ مـعـرـفـتـهـ الـبـرـهـانـ ، وـعـلـومـ الـفـلـاسـفـةـ الـمـنـطـقـيـةـ لـيـسـ فـيـهاـ مـاـ يـنـبـغـىـ أـنـ يـنـكـرـ لـأـنـ لـأـنـهـ لـأـنـ يـتـعـلـقـ بـهـاـ شـيـئـ مـنـ الـدـيـنـ ، بـلـ قـدـ تـفـيدـنـاـ فـيـ مـعـرـفـةـ صـحـيـحـ الـفـكـرـ مـنـ فـاسـدـهـ .

وأما علم الطبيعيات : فهو بحث في العالم وما يحتويه من سموات وأرض وأجسام مركبة كالحيوان والنبات والمعادن ، وليس من شرط الدين إنكار علم الطبيعة .

وأما السياسيات : فكلام الفلاسفة فيه يرجع إلى مصالح الناس الخاصة بأمورهم الدنيا .

وأما الفلقية : فجميع كلامهم فيها يرجع إلى حصر صفات النفس وأخلاقها وكيفية معالجتها ومجahدتها ، ويرى أنهم أخذوها من الصوفية .

وأما الإلهيات : ففيها كما يقول الغزالى أكثر أغاليطهم وقد كفراهم في كتابه التهافت في مسائل ثلاث ، ويدعهم في سبع عشر مسألة . فكفراهم في قولهم إن الأجساد لا تحشر ، وأن الله لا يعلم الجزيئات وقولهم يقدم العالم وأزليته . (١)

ويقول الغزالى "في منقذه" «واما ما وراء ذلك من نفيهم الصفات وقولهم أنه عليم بالذات لا بعلم زائد عن الذات وما يجرى مجرى ، فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ولا

(١) ليس كل فلاسفة الإسلام يقولون بحدوث العالم وليس كل فلاسفة الإسلام يقولون بقدم العالم فالكتندي في رسالته في وحدانية الله ويتناهى جرم العالم يقول إن العالم حادث "فليس الزمان متصلة مما لا نهاية ، بل من نهاية اضطراراً ، فليست مدة الجرم بلا نهاية ، واتية الجرم متناهية ، فيمترع أن يكون جرم لم ينزل ، قال جرم إن محدث اضطراراً ، والمحدث محدث المحدث ، إذن المحدث والمحدث من المضاف فالكل محدث اضطراراً عن ليس .

وهذا يعني تناهى الجسم والتناهى يؤدي إلى القول بأن العالم مخلوق من العدم ولهذا فهو يقول بحدوث العالم لا قدرمه .

ونكرة تناهى الأجسام قال بها المعتزلة قبل الكندي عندما أراؤوا البرهنة على حدوث العالم . ولما كان الجرم متناهيا عند الكندي فإن الزمان يكون أيضاً متناهياً لأنه يقوم على الحركة المتناهية .

ويعتبر الكندي أول فيلسوف مسلم قال بحدوث العالم بينما الفارابي وبين سينا قالا بالفيض في خلق العالم متاثرين بنظرية الفيض عند أفلوطين غير أن أفلوطين يقول بعقل واحد بينما الفارابي وبين سينا يقولان بعشرة عقول ، والقول بالفيض يرتب عليه القول بقدم العالم .

ومن مفكري الإسلام الذين تصدىوا لمن قالوا بقدم العالم ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦) حيث رد على من قالوا بأن العالم قديم وله قابل يتعذر عليه له وهو الله تعالى فيقول "في الفصل" : إن المعقول هو المتنقل من العدم إلى الوجود ، بمعنى من ليس إلى شيء ، وهذا هو المحدث . ومعنى المحدث هو ما لم يكن ثم كان . وهم يقولون أنه هو الذي لم ينزل ، وهذا خلاف المعقول :

يجب تكبير المعتزلة بمثل ذلك « . (١)

ويبدو لنا الغزالى متسامحاً نزيفاً حين يقرر أن لكثير من هذه العلوم فوائد لعدم منافاتها للدين ويقول أيضاً « فإذا كان ذلك معقولاً في نفسه مزيداً بالبرهان ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة ، فلم ينبغي أن يهجر ويترك » . (٢)

فلو فتحنا هذا الباب وطرقنا إلى أن نهجر كل حق سبق إليه خاطر مبطل لزمننا أن نهجر كثيراً من الحق .

أما بالنسبة لتكفير الفلسفه فى مسألتى قدم العالم وأن علم الله اقتصر على الكليات دون الجزئيات فقد تناول الغزالى حين مناقشتها في التهافت مناقشة فلسفية مسأله الزمان والمكان ولم يجعل بينهما فرقاً كالفلسفه ، إذ مما عنده عبارة عن العلاقات بين تصوراتنا ، بينما الفلسفه يرون أن للعالم نهاية وأن المكان محدود ، ومن ناحية أخرى يقولون أن الزمان لا ابتداء له ولا انتهاء .

ويقول الغزالى في تهافتة « كما أن البعد المكانى تابع للجسم فالبعد الزمانى تابع للحركة ، وهو امتداد للحركة ، كما أن ذاك امتداد أقطار الجسم .. فلافرق بين البعد الزمانى الذى تنقسم العبارة عنه ، عن الإضافة إلى « قبل » و « بعد » ولنبع المكانى الذى تنقسم العبارة عنه ، عن الإضافة إلى فوق وتحت » .

ومن ذلك النص نلاحظ أن الغزالى لم يجعل بين الزمان والمكان فرقاً كما يرى فلا فلسفه ، فالزمان والمكان عبارة عن العلاقات بين تصوراتنا أو مما العلاقة بين الأجسام .

وهذا الرأى يجعل الغزالى قريباً من نظرية « كانت » التي يقول فيها : إن الزمان والمكان ليسا من المعانى الكلية ، بل هما عبارة عن صور سابقة للتجربة نستعين بها على إدراك العالم الخارجى .

والغزالى الذي هاجم الفلسفه يعد عندنا فيلسوفاً دينياً كبيراً لأنّه كتب في سائر

(١) المنقد من الفضلال للغزالى ص ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٢ .

م الموضوعات الفلسفية الدينية بعمق وأصالة وتجدد .

الموضوعات التي تخالن فلسفة الدين يقول عنها فرجيليوس Vergilius Ferm فيرم في تعريفه لفلسفة الدين إن فلسفة الدين بحث في موضوع الدين من الناحية الفلسفية .. ومن مسائلها طبيعة الدين ، ووظيفته وقيمة ، صدق دعوته ، الدين والأخلاق .. صلة الله بالإنسان من حيث الحرية والمسؤولية ، الكشف الصوفي ، الصلاة واستجابة الدعاء ، قيمة المصور التقليدية في التعليم والشعائر والعقائد والطقوس والوعظ ، مسألة طبيعة الاعتقاد والإيمان ، مسألة الألوهية وجودها .. وإن موضوع فلسفة الدين في نظر الدوائر المحافظة ليس موضوعاً لبحث فلسفى حر وإنما هو فلسفة دين معين ، إنه حينئذ دفاع صريح أو مقنع عن دين سبق الإيمان به .

ومن هذا المنطلق لتعريف فلسفة الدين نجد أن الغزالى تناول فى دراسته كل موضوعات الفلسفة الدينية ولا ننسى أن مرجع وأساس اهتمامات الغزالى كان مشكلة فلسفية عميقة هي محاولته الكشف عن قضية اليقين في المعرفة يقول الغزالى في منقاده « ظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشفا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الخطأ والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين » . (١)

وقد وجد اليقين في الحقيقة الصوفية وإن اليقين قبور يقتضيه الله في الصدر وهذا النور هو مفتاح أكثر المعارف في نظره ، وهذا موقف فلسفى بديع يجعلنا نقول عنه - بلا أدنى شك - إنه فيلسوف ديني أصيل .

ولقد أستطيع الغزالى أن يبين لنا أن الدين ذوق وتجربة من جانب القلب والروح ، وليس مجرد أحكام شرعية أو عقائد تلقى ، بل هو أكثر من ذلك ؟ هو شيء يحسه المتدين بروحه إحساسا حيا ولا يحس كل إنسان بروحه ما يحس به الغزالى ، والذين لا يستطيعون متابعته أذ يعرج ، على أجنبية التصوف في مدارج السالكين متخطيا حدود المعرفة التي

(١) المنقاد من الضلال للغزالى ص ٦٩ .

يمكن اكتسابها بالتحصيل العادى لا محيسن لهم عن الإقرار بأن محاولاته فى الوصول إلى الله ، مهما كان فيها من مقامرة فى ميادين المجهول ، ليست أقل شأنا فى تاريخ العقل الإنسانى من مسالك فلاسفة عصره وإن بدت هذه المسالك أدنى إلى اليقين لأن أصحابها إنما ساروا فى بلاد قد كشفها غيرهم من قبل .^(١)

والغزالى حين أراد أن يقوض الآراء الخاطئة فى الفلسفة إنما أراد هدمها ليبني قواعد الدين وقيمه على أساس من الحق قوية صحيحة .

وقد وضع الغزالى كتابه **تهاافت الفلسفة** بمعول مفكركبير ناقد ، له بصيرة ودرية بأراء الفلسفة فأخذ يفتش عن الثغرات فى آرائهم بعين فاحصة وعقل حكيم وما كان هدفه آراء الفلسفة فى ذاتها لأن بعض هذه الآراء موافق للدين وإنما كانت بغيةه تقييد مسلكهم العقلى وبيان مدى تهافتهم فمقصوده - كما يقول فى تهاافتة - تتبیه من حسن اعتقاده فى الفلسفة وظن أن مسالكهم نقية عن التناقض ، ببيان وجوه تهافتهم .

إنه يريد أن يبين للناس أن المعرفة عند الفلسفه العقليين مصدرها العقل مع أن هناك طورا آخر فوق العقل لم ينته إليه الفلسفه العقليون هو طور البصيرة ومع أن الغزالى اعتمد على العقل فى هدمه لآراء الفلسفه إلا أنه يكشف عن قدرات أعظم من العقل فى الكشف عن الحقائق هى قدرة البصيرة عند الخاصة من الناس ، كما كشف لنا بعمق حقيقة هامة هى أن العقل لا يستطيع أن يصل إلى مسارات الغيب وأنه عاجز عن أن يدرك ما وراء الطبيعة .

ثم أن هناك هدفا آخر من محاولته بيان تهاافت الفلسفه وهو قصد هدم الفلسفه عند العامة من الناس أيضا حتى لا يفتقروا بأراء الفلسفه ويفتقرن بما يهربون ، فحاول هدمها وبيان الخطأ فى بعض آرائها حتى لا يقبل العامة عليها ويأخذوا أفكارها . ولقد اتسم الغزالى في تقاده الفلسفه بالنزاهة العلمية والبعد عن التعصب لرأيه ،

(١) تاريخ الفلسفه فى الإسلام من ٣٥٥ - ٣٥٦ تأليف دى بود ترجمة د . أبو ريدة .

وكان يريد البحث عن الحقيقة في جوهر آرائهم وتبين مدى الخطأ والخطأ فيها .. يقول بلاسيوس : إن الغزال حينما سمع كتابه « تهافت الفلسفة » كان يريد أن يمثل لنا أن العقل الإنساني يبحث عن الحقيقة ويريد الوصول إليها ، كما يبحث البعض عن خصوّة النهار ، فإذا أبصر شعاعاً يشبه نور الحقيقة انخدع به فرمي نفسه عليه ، وتهافت قيه ، ولكنه يخطئ مخدوعاً باقىسة منطقية خاطئة فيهلك كما يهلك البعض .

فكان الغزال يريد أن يقول إن الفلسفة خدعوا بأشياء أسرعوا إليها بلا إعمال رؤية فتهافتوا وملكو الهاك الأبدى (١)

ولعل الذي دعا إلى بيان تهافت الفلسفة ما وجده من تناقض في آرائهم وردّ بعضهم على بعض فيقول لنا في تهافتة لقد رد أرسطو طاليس على كل من قبله ، حتى على أستاذه الملقب بأفلاطون الإلهي ، ثم اعتذر عن مخالفة أستاذه وقال : أفلاطون صديق ، والحق صديق ، ولكن الحق أصدق منه – وإنما نقلنا هذه الحكاية ليعلم أنه لا ثبيت ولا إيقان لدىهم عندم وأنهم يحكمون بظن وتخمين من غير تحقيق وبيان .

إن تناقض المذاهب وعدم يقينية آرائها دفع الغزال إلى هدمها ونقدّها نقداً مزيفاً . وقد سلك في ذلك مسلك المفكرين المدركون لحقيقة المسألة التي يبحثونها تمام الإدراك . فهو عندي من العبريات النابرة في التاريخ الإنساني .

بل يعد الغزال في رأينا – كما ذكرنا من قبل ورغم أنه هاجم الفلسفة – فيلسوفاً دينينا من الدرجة الأولى ... وقد ظهر ذلك واضحًا جلياً في كتابه التهافت ... فحين شكل في بعض آراء الفلسفة ونقدّها ونقدّها نقداً علمياً وموضوعياً صحيحاً فإنه قام بعمل فلسفى بعقلية ثاقبة ، وكأنه تклассف رغم ما عنه ، ويرى بعض الفلاسفة أن (وظيفة الفلسفة لا تقوم في وضع حلول للمشكلات) بل تقوم في تنفيذ الحلول الموسوعة للمشكلات (٢) .

ويقول أستاذنا الدكتور سليمان لطيف رحمة الله معلقاً على هذا الرأى (٣) ومن عدم

(١) المرجع السابق هامش صفحة ٣٢٣ .

(٢) أساس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل من ١٢٦ طبعة ثانية .

(٣) في مقدمة تحقيقه الرابع لكتاب تهافت الفلسفة ط ٥ من ٢٢ .

الإنصاف أن يعتبر التشكيك والنقد أعمالاً سلبية عديمة الفائدة إنها - فيما اعتقد (أى الدكتور سليمان دنيا) - أعمال تساعد على بناء وتشييد من نوع آخر . فلو أن شخصاً اعتقد أن طريقة معينة يمكن أن توصل إلى الحق فكشف له إنسان عن نقص في هذه الطريقة وأظهر لها مثالها وعيوبها ، فإن ذلك الإنسان يكون قد صرف ذلك الشخص عن باطل ، وتبه إلى ضرورة البحث عن طرق أخرى عسماً تكون أليق بالغرض المطلوب .

إن أرسطو حينما زيف نظرية المثل الأفلاطونية ، لم يكن عمله هذا - وهو عدم لشيء يسمى فلسفـة - عملاً سلبيـاً ، وإن عمله هذا كان خطوة تمـهـيـة لابد منها للوصول إلى نظرية الجديدة التي ملأـ بها فراغـ النـظـرـيـةـ التـىـ اـسـتـبـعـدـهاـ ،ـ إـذـ لـوـ لمـ يـنـقـدـ نـظـرـيـةـ المـثـلـ الأـفـلاـطـوـنـيـةـ -ـ بـلـ آـمـنـ بـهـاـ -ـ لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ سـبـيلـ لـكـشـفـ نـظـرـيـةـ أـخـرىـ تـحـلـ محلـهاـ .ـ

وإذا كان النقد داخلاً هكذا في نطاق الفلسفـةـ فـكتـابـ التـهـافتـ إذـنـ فـلـسـفـةـ .ـ

ويحاول الدكتور دنيا رحـمهـ اللهـ أنـ يـبـيـنـ لـنـاـ أـنـ الغـزـالـيـ كـانـ فـيـلـسـوـفـاـ بـحـقـ وـهـوـ يـهـدمـ

الفلسفـةـ (١)ـ نـعـمـ إـنـ هـدـفـ كـتـابـ التـهـافتـ هوـ إـظـهـارـ العـقـلـ بـمـظـهـرـ العـاجـزـ عـنـ اـقـتـاصـ

الـحـقـائقـ الإـلهـيـةـ .ـ

ولهذا يحاول الغـزالـيـ فيـهـ أـنـ يـنـتـزـعـ ثـقـةـ النـاسـ مـنـ العـقـلـ كـمـصـدـرـ نـتـعـرـفـ مـنـهـ المسـائلـ

الـإـلهـيـةـ ،ـ وـلـكـنـ الغـزالـيـ إـذـ يـحـاـولـ ،ـ تـقـيـيدـ سـلـطـةـ العـقـلـ ،ـ يـتـخـذـ مـنـ العـقـلـ نـفـسـهـ مـطـيـةـ للـوـصـولـ

إـلـىـ هـذـهـ الـغـاـيـةـ ،ـ فـإـذـنـ صـلـهـ هـذـاـ هـوـ مـحـاـيـةـ عـقـلـيـةـ لـإـثـبـاتـ قـصـورـ العـقـلـ فـيـ مـيـدـانـ الـإـلهـيـاتـ

وـشـهـادـةـ عـقـلـيـةـ بـأـنـ لـلـعـقـلـ حـدـاـ يـجـبـ الـوقـوفـ عـنـهـ .ـ

فـمـنـ نـظـرـ إـلـىـ الـغـاـيـةـ مـنـ كـتـابـ التـهـافتـ -ـ تـلـكـ التـىـ يـصـوـرـهـ الغـزالـيـ نـفـسـهـ بـأـنـهـاـ

سـحـبـ الثـقـةـ مـنـ الـفـلـسـفـةـ -ـ وـرـأـهـ لـهـذـاـ بـعـيـداـ مـنـ نـطـاقـ الـفـلـسـفـةـ فـهـوـ مـضـطـرـ إـلـىـ اـعـتـبـارـ

وـسـيـلـتـهـ -ـ تـلـكـ التـىـ تـقـومـ عـلـىـ اـسـتـعـراـضـ مـنـاهـجـ الـفـلـاسـفـةـ وـأـدـلـتـهـمـ وـاستـخـدـامـ العـقـلـ وـحـدهـ

لـلـكـشـفـ عـنـ قـصـورـهـ ،ـ وـضـعـفـهـاـ وـرـكـتـهـاـ -ـ عـمـلـ دـاخـلـاـ فـيـ صـمـيمـ الـفـلـسـفـةـ .ـ إـنـهـ عـملـ يـمـكـنـ

تـصـوـيرـهـ بـأـنـ بـأـنـهـ بـحـثـ فـيـ طـاقـةـ العـقـلـ .ـ وـهـلـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ عـملـ كـهـذـاـ بـعـيـداـ عـنـ مـجـالـ

الـفـلـسـفـةـ ؟ـ

(١) المـرـجـعـ السـابـقـ صـفـحةـ ٢٤ـ .ـ

ولقد قال أرسطو قديما :

إن من ينكر الميتافيزيقا ، يتخلص ميتا فизيقيا
وقال :

(فلتخلص إذا اقتضى الأمر أن تتخلص ، فإذا لم يقتضي الأمر التخلص وجب أن
تتخلص لتثبت أن التخلص لا ضرورة له) .

ولقد قال حديثا بعض الفلاسفة الميتافيزيقيين عن خصومهم من الفلاسفة الوضعيين :
(إنهم فلاسفة الذين يفخرون بأنهم ليسوا فلاسفة إن موقفهم من إنكار الفلسفة
موقف فلسفى لا محالة) .

وعلى هذا القياس يكون الغزالى قد تخلص وهو يهدم الفلسفة ، فالتهافت - إذا -
ان لم يكن فلسفى الغاية فهو فلسفى الموضوع .

والحقيقة أن الغزالى يمثل عقلية الفيلسوف المسلم وإن قراءاته فى الفلسفة بعمق
صيغت أفكاره بعقلية فلسفية متميزة وحضرتني في ذلك ما قال أبو بكر بن العريسى صاحب
الغزالى العظيم « شيخنا أبو حامد دخل فى بطون الفلسفة ثم أراد أن يخرج منهم فما
قدر » (١)

ويبدو لنا أن الغزالى فى فترة من حياته قد استوعب سائر المراجع والكتب المعروفة
فى الفلسفة فى عصره ومنها كتاب « حجج برقلس فى قدم العالم » ولعل الغزالى وهو يفتدى
أراء الفلسفة فى المسائل الثلاثة المشهورة اعتمد على شرح يحيى النحوى النصراوى على
مذهب أرسطو . وقد رد النحوى على القول بقدم العالم ردًا على برقلس أحد القاتلين بقدم
العالم .

يقول البيهقى (٢) في كلامه عن يحيى النحوى " وأكثر ما أورده الإمام حجة الإسلام

(١) نقض المنطق لابن تيمية ص ٥٦ . طبعة القاهرة ١٩٥١ .

(٢) في كتاب تاريخ حكماء الإسلام (تتمة البيهقى) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦٦٦ م من ١٧ نقلًا
عن هامش ص ٣٣١ بتاريخ الفلسفة في الإسلام لدببور ترجمة وتعليق د / أبوريدة .

رحمه الله في تهافت الفلسفه تقرير كلام يحيى النحوى .

وينكر هذا الكلام أيضا الشهير نعدي "في نزهة الأرواح" (١)

ويقول أن الغزالى أخذ ما أورده في التهافت من كتب يحيى النحوى وهو يذكر من كتب يحيى الكتاب الذى رد فيه على برقلس .

ويقول الدكتور عبد الرحمن بدوى (٢) إن الغزالى فى هذا الكتاب إنما يعتمد على كتاب لفيلسوف يونانى أفلاطونى محدث هو برقلس الأفلاطونى ورد يحيى النحوى عليه . وهذا الكتاب هو كتاب جوج برقلس فى قدم العالم الذى كان من حسن حظنا أن اكتشفنا له ترجمة عربية قديمة قام بها اسحاق بن حنين ونشرناها في كتابنا «الأفلاطونية المحدثة عند العرب» ص ٤٢ - ٣٤ من القاهرة سنة ١٩٥٥ وقد وجدنا فيه الحجة الأولى من هذه الحجج . وقد فقدت في أصلها اليونانى ، ولم تبق لنا إلا في هذه الترجمة العربية الفريدة ، وهذه مأثرة عظيمة من مأثر التراث العربي على التراث اليونانى وهذه الحجج الثمانى عشر قد رد عليها يحيى النحوى الفيلسوف الأسكندرى ، بكتاب كبير ، يثبت فيه بأن العالم محدث وليس قدیما ، وهذا الرد قد ترجم إلى العربية إذ ذكر القسطنطى أنه كانت لديه نسخة بالعربية طبعا من رد يحيى النحوى (القسطنطى نشره لبيرت ص ٨٩) * . كما أتنا نجد البيررونى فى كتابه (تحقيق ما للهند من مقوله) ينقل عن كتاب يحيى النحوى هذا في ثلاثة مواضع (صفحات ١٧، ١١١، ١١٤) وكذلك يذكره الشهير ستانى في «الملل والتحل» (طبعة كيورتن ص ٣٣٣ - ٣٤٣) - فيورد ما سماه باسم «شبه برقلس فى قدم العالم» ويقول أنه أفرد كتابا للرد عليها فضلا عن ابن الخمار المتوفى بعد سنة ٤٠٧ هـ فقد دافع عن رد يحيى النحوى برسالة صغيرة في أن دليل يحيى النحوى على حدوث العالم أولى بالقبول من دليل المتكلمين أصلا وقد عثروا على هذه الرسالة ونشرناها أيضا ، وهذا يدل على مدى انتشار حجج برقلس ورد يحيى النحوى عليها في العالم الإسلامي فمن الطبيعي جدا أن يعرف

(١) نزهة الأرواح مصود بمكتبة جامعة القاهرة ص ١٨٢ ، من ١٨٣ .

(٢) في بحث بمؤتمر دمشق صفحه ٢٢٢ وصفحة ٢٢٤ .

* يقصد كتابه «إختار العلماء بأختار الحكماء» حققه يولييس لبيرت ، لبيزيرج ١٩٠٢ م .

الغزالى حجج برقلس ورد يحيى النحوى ، ولئن كان الغزالى لم يذكر اسم برقلس ولا ينكر اسم يحيى النحوى فى كتابه « تهافت الفلسفه » فإن هذا لا يدل على شيء لأن الغزالى لا يذكر مصادره وخصوصا هنا يعنينا أن يخفى مصدره لأنه يحيى النحوى ويحيى النحوى فيلسوف على أنه يكفى المرء أن يقرأ كتاب يحيى النحوى فى رده على برقلس فى قوله بقدم العالم ليكتشف فى الحال أن الغزالى ينقل خلاصة ما قاله يحيى النحوى فى رده ، ولا يكاد يضيف شيئا جوهريا إليه ، إنما الخلاف فى العبارات والاصطلاحات وطريقة صياغة الحاجاج .

فالحججة الأولى يوردها الغزالى (من ٢٣ من نشرة برويج ، بيروت سنة ١٩٢٧) وهى قول القائلين يقدم العالم إنه يستحيل صدور حادث من قديم مطلقا هذه الحجة هي الحجة الثالثة من حجج برقلس ، وقد رد عليها يحيى النحوى بمثل ما أورده الغزالى باعتراضاته والزamasاته والردود على الاعتراضات والإلزامات والحجة الثانية (من ٥١ - ٥٢) من حجج القائلين يقدم الدهر - وهي الخاصة باستحالة التقدم بالزمان - هي بعينها الحجة الخامسة من حجج برقلس وقد رد عليها النحوى بما سيقوله الغزالى أيضا ، والدليل الثالث عند الغزالى (من ٦٦ - ٦٧) يناظر الحجة الثانية من حجج برقلس ، وإن اختلفت العبارة إذ بدأت فكرة الممكن والواجب تدخل فى الإلهيات بدلا من المثال والمثول أو الصورة وشبيهها المحاكي .

ويمثل يقال عما أورده الغزالى للفلسفه من حجج على أبدية العالم والزمان والحركة فلها نظائرها فى حجج برقلس ، خصوصا السابعة والثامنة والتاسعة ، وما أورده يحيى النحوى من ردود عليها .

ومن هذا نرى يوضوح أن الغزالى فى « التهافت » إنما رد على آراء بعض الفلسفه بآراء البعض الآخر ، وبعبارة أدق نراه رد على المشائين ومن شابههم مثل برقلس ، بكلام استعارة من فيلسوف تأثر ب柏拉طون أكثر مما تأثر بأرسطو فى الإلهيات ، فضلا عن أنه فيلسوف ذو دين ونعني به يحيى النحوى الذي كتب رده هذا سنة ٥٢٩ ميلادية كما يظهر من نص كلامه فى المقالة ١٦ ف ٤ س ١٤ من نشرة Raabe ().

ومن ذلك كله نستطيع أن نقول مطهنتين أن الغزالى اعتمد فى رده على الفلاسفة القائلين بقدم العالم على كتاب يحيى التحوى وفيه دليله على أن حدوث العالم أولى بالقبول من حجج برقلس فى قسم العالم .

والحق أن إستقطابات قراءاته فى الفلسفة وخاصة فلسفة ابن سينا قد ظهر واضحة فى أمرين تناولهما فى فكره وهم مسألة النفس ومسألة المعرفة الإشراقية المتصلة بمسألة الفيصل .

فالغزالى يكاد يحتوى حتى ابن سينا فى أمر النفس فهو يرى بأنها جوهر مخالف للجسم كما أخذ عنه أهم براهين إثبات وجود النفس كالبرهان الطبيعى وبرهان الاستمرار وبرهان الرجل الطائر وبرهان ابن سينا العقلى فى إثبات روحانيتها .

أما نظرية الفيصل التي رفضها الإمام الغزالى فى كتاب « تهافت الفلسفه » فإتنا نجد بصماتها واضحة فى كتابي « فيصل التقرقة » و « مشكاة الأنوار » ، فالغزالى مثلا فى « مشكاة الأنوار » يرى أن النفس مقتبسة من آخر العقول التي يحتوى عليها عالم الملائكة ، كذلك يرى أن أنوار المعرفة تقىض على عقول البشر قبل الحرى كما يقول فى مشكاة الأنوار - « أن يكون مقتبس الأرواح الأرضية من الأرواح العلوية التي وصفها على وابن العباس رضى الله عنهما فقال ، إن لله ملكا له سبعون وجهها وفي كل وجه سبعون فم وفي كل فم لسان يسبح الله بجميعها » .

وتتجدد فى مشكاة الأنوار أنه يقول بأن أرواح الملائكة يفيصل بعضها عن بعض وأن لها مقامات متدرجة ، تنتهى إلى نور الأنوار وهو الله وحده لا شريك له ، وهو النور الحقيقي وحده ، وكل الأنوار مستعارة منه .

ولا شك عندنا أن قراءاته لفلسفه الإسلام ووعيه بالفکر الفلسفى كانت له رواسب لأشعورية فى كتاباته جعلته يحتوى حتى الفلسفه الذين نقدمهم فى تهافتة ثم إن نظرية الفيصل فى عصره كانت مثاراً باستمرار وكانت قد اختارت تماماً أفكارها ومشتلت فى عقول كثير من اطلعوا على هذه النظرية .

وإننا نلاحظ أن الغزالى فى « معارج القدس » و « المشكاة » و « الرسالة اللدنية » قد

تأثر بالفکر الاشراقي ونظرية الفيپن وقد وجدنا هذه الأفكار عند ابن سينا في رسالته «النبوات» حيث فسر الوحي والنبوة من خلال نظرية الفيپن .

فابن سينا في رسالة النبوات يرى أن الوحي «إفاضة العقل الكلى على نفس النبي الذى ينتهي إليه التفاضل فى الصور المادية وفيضان العلوم منه على لوح قلب النبي بواسطة العقل الفعال والمilk المقرب هو كلامه ، والرسالة هي ما قبل من الأمور المفاضلة على نفس النبي المسماه وحيا على أي عبارة استصوحت لصلاح عالم البقاء والفساد علما وسياسة .. والرسول هو المبلغ ما استقاده من إفاضة المسماه وحيا » .

ولهذا فتحن لا نشك فى أن الغزالى قد تأثر إلى حد كبير بنظرية الفيپن وبالفلسفة الإسماعيلية وفلسفة ابن سينا وبخاصة من خلال رسالة الشيخ الرئيس عن «النبوات» بل إن الغزالى فى الرسالة المدنية يستخدم ألفاظاً استخدمناها من قبله «إخوان الصفا» وفلسفه الإسلام وبخاصة ابن سينا مثل تعبيرات «النفس الكلية» «العقل الكلى» «النفس القدسية» فالعقل الكلى هو المعلم والنفس القدسية هي المتعلم ، والنفس الكلى هو العلم ، وصور المعلومات تنتقل على صفة النفس القدسية بدون واسطة ولا تعلم من خارج ، يقول تعالى (وعلمناه من لدنا علما) وقد تعلم أدم من غير معلم ، وهذا علم الأنبياء الذين يأخذون عن الله مباشرة بلا توسط ولا وسيلة . والعلم الغيبى الآتى عن الوحي أقوى وأكمل من العلوم المستقادة ، وصار علم الوحي كما يقول الغزالى إرثا للنبوة وحقا للرسل . ثم أغلق هذا الباب بعد محمد ﷺ ، وإن كان علمه أكمل وأتم وأشرف ، لأنه حصل عن القulum الربانى وعلمه شديد القوى .

والعلم الحاصل بالوحي سمي علمًا نبوياً أما الحاصل بالإلهام فيسمى علمًا دينياً ، فمن إفاضة العقل الكلى يتولد الوحي ، ومن إشراق النفس الكلية يتولد الإلهام فالوحي حلية الأنبياء ، والإلهام حلية الأولياء .

والنفس دون العقل والواى دون النبي والإلهام دون الوحي .

الحق أن بنور الفكر الاشراقي ونظرية الفيپن تبدو واضحة - كما قلنا في بعض كتابات الإمام الغزالى وبخاصة الرسالة الدينية والمشكاة وبيبرولنا أن ما يقرأه الإنسان بعمق

وفهم عظيمين تتخل أثاره داخل عقله ويظهر دون أن يدرى في بعض كتاباته . وهذا ما حدث مع شيخنا العظيم الإمام الغزالى .

فإن كانت بعض آرائه تجنج إلى الاتحاد فى "مشكاة الأنوار" إلا أن "إحياء علوم الدين" يعد المصدر الأستاذى للتتصوف السنى وهو الكتاب الهام الذى أثر فى سائر المتتصوفين السنين فيما بعد وهو المرجع المعتمد فى التتصوف السنى وفيه يهدى بعنف نظرية الاتحاد عن الحلاج .

ولهذا فالغزالى يعد بحق رائد التتصوف السنى فى فكرنا الإسلامى .

٣ - الغزالى .. ومذهب التعليمية الباطنية .

بعد أن فرغ الغزالى من علم الفلسفة وبيانه أنه غير واف بغرضه لأن العقل ليس مستقلا بالإحاطة بجميع المطالب (١) استفرق في التعرف على التعليمية عقيدة الإسماعيلية فوجد أنهم يقولون (إن العقل لا يؤمن عليه الغلط ، حكما يصحأخذ حقائق الدين عنه) . وهذا ما وصل إليه الغزالى عند اختباره الفلاسفة لكن التعليمية يأخذون مسائل الدين في شكلها اليقيني عن طريق المعلم الإمام المعصوم الذي يتلقى قضياته عن الله .

يقول الغزالى في المندى من الضلال "ولكن معلمتنا المعصوم وهو محمد عليه السلام . فإذا قالوا هو ميت . فنقول "فمعلمكم غائب . فإذا قالوا : " معلمتنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو أشكل عليهم مشكل فيقول " ومعلمتنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد وأكملا التعليم " ، إذ قال الله تعالى "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي " . وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم ، كما لا يضر غيبته " . (٢)

هكذا ناقشهم الإمام الغزالى وحاورهم حوارا عقليا رائعا إنهم يقولون إن الإمام المعصوم يتلقى عن الله مباشرة ولكن حين سأله عن ذلك قالوا إن الإمام المعصوم في الخفاء . فبقي قول الإسماعيلية : "كيف تحكمون فيما لم تسمعوه ؟ أبالنحو لم تسمعوه ؟ أم

(١) المندى للغزالى ص ١٠٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١١١ .

بالاجتهاد والرأي وهو مظنة الخلاف ؟ فنقول : نفعل ما فعله معاذ إذ بعثه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن : أن نحكم بالنص عند وجود النص ، وبالاجتهاد عند عدمه .

وبين لهم أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أباح الاجتهاد فيما لا نص فيه من كتاب وسنة . وقد بين الغزالى فساد مذهب التعليمية والباطنية فى أكثر من رسالة وكتاب . مثل كتاب "المستظرى" وكتاب "حجۃ الحق" وكتاب "الدرج" المرقوم بالجدارى و"القسطاس المستقيم" .

ويقول الغزالى فى "المنقد من الضلال" "إن هؤلاء ، ليس معهم شئ من الشفاء المنجى من ظلمات الآراء ، بل هم مع عجزهم عن إقامة البرهان على تعيين الإمام ، طالما جاريناهم فصادقناهم فى الحاجة إلى التعليم ، وإلى المعلم المعصوم ، وأنه الذى عينه ، ثم سألناهم عن العلم الذى تعلموه من هذا المعصوم ، وعرضنا عليهم إشكالات فلم يفهموها فضلا عن القيام بحلها ، فلما عجزوا أحالوا على الإمام المعصوم ، وقالوا أنه لا بد من السفر إليه" .

والعجب أنهم ضيغوا عمرهم في طلب المعلم ، وفي التبجع بالظفر به ولم يتعلموا منه شيئاً أصلاً .^(١)

وهم في البحث عن المعلم المعصوم مخدوعون فلا حقيقة له في الظاهر . يقول الغزالى "فلما خبرناهم نقضنا اليد عنهم أيضاً" .^(٢)

وهكذا فند الغزالى آراء التعليمية وبين خطأ أساس معتقداتهم وضلال معتقداتهم في الرمام المعصوم إذ لا معصوم سوى الأنبياء عليهم السلام .

لقد درس حجة الإسلام علم الكلام والفلسفة وأراء التعليمية بعمق ليعرف عن علم ودرایة الحقيقة وأشار في المنقد أنه " لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على مفتوى ذلك العلم ، حتى يساوى أعلمهم في أصل ذلك العلم ، ثم يزيد عليه ويتجاوز درجته ،

(١) ، (٢) المرجع السابق ص ١١٨ ، ١٢٠ .

فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائمة ، وحين يتم له ذلك يمكن أن يكون ما يدعوه من فساده حقا .

وهكذا انتهى به الأمر إلى معرفة الفرقة الرابعة وهي الصوفية .

٤ - الغزالى والصوفية .

الفرقة الرابعة وهي فرقة الصوفية ، منهجهم النونق ، وحين عاشرهم الغزالى وجدهم أحسن الناس أخلاقا وأطيبهم عشرة ووجد عندهم اليقين الذى كان يبحث عنه كما سنوضح ذلك بإذن الله .

وقد بدأ الغزالى بمعرفة علمهم من خلال كتب التصوف مثل " قوت القلوب فى معاملة المحبوب " لأبي طالب المکى ، " الرعاية لحقوق الله عز وجل " للمحاسبي ، والمتفرقات المؤثرة عن أقطاب التصوف مثل الجنيد والشبلى والبساطami وغيرهم .

ويقول الغزالى في منقذه من الفضلال عن الصوفية " إنى علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أذكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاه وحكمة الحكماء ، وعلم الواقعين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ، وبدلوا بما هو خير منه ، لم يجدوا إليه سبيلا ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به ، فماذا يقول القائلون في طريقة طهاراتهم ، وهي أول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها الجارى منها مجرى التحرير من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله ، واخرها الفتاء بالكلية في الله " .^(١)

لقد ذاق الغزالى تجربة التصوف عن خبرة ومارسة ، وحين مارسها تجرد لها عن متع الحياة الراحلة ، وعرف أنه لا يستطيع أن يحكم على تجربة التصوف إلا من جرب أو ذاق وعرف فقال في المنقد " وهذه حالة يتحققها بالنونق من سلك سبيلاها ، فمن لم يرزنق

(١) المرجع السابق ص ١٣١ ، ص ١٣٤ .

النونق ، فيتيقنها بالتجربة والتسامع ، إن أكثر معهم الصحبة حتى يعرف ذلك بقرائين الأحوال يقينا ، ومن جالسهم استقاد منهم هذا الإيمان ، فهم القوم لا يشقى جليسهم ، ومن لم يرنت صحبتهم فليعلم إمكان ذلك يقينا بشهاد السيرهان ، على ما ذكرناه في كتاب " عجائب القلب ، من كتب إحياء علوم الدين " .

والتحقيق بالبرهان علم ، وملائسة عين تلك الحالة نونق ، والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن إيمان . فهذه ثلاثة درجات ، " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات " .^(١)

ولعل الذي جعله يتجه إلى التصوف بكليته أنه بدأ حياته العلمية لدى رجل صوفي هو الذي كفله وتربى على يديه مع أخيه أحمد ، بالإضافة إلى اطلاعه على كتب الصوفية ثم نوبة المرض التي انتابتة جعلته يشعر أن لا ملجاً إلا إليه سبحانه وتعالى فاتجه إليه بكليته خالصاً صادقاً في حبه لله وزهره عن أغراض الدنيا .

وأيضاً كان من أساتذة الغزالى الصوفى الزاهد أبو على الفضل بن محمد بن على الفارمدى الطوسي^(٢) . وقد أخذ الغزالى عليه الطريق وعرف منه جواهر التصوف وحقيقة الحياة الروحية في الإسلام .

ويوضح لنا الغزالى في " المنقد " أن أحسن خواص الصوفية هو النونق ولا يمكن الوصول إليه بالتعلم المجرد لأن النونق في اصطلاح الصوفية كما يقول هو " نور عرفاتي " يقنه الحق بتجليه في قلوب أوليائه فيفرقون به بين الحق والباطل ، بغير حاجة إلى الاعتماد على كتاب أو نحوه ، كما يذكر بالحال ، وهي عند الصوفية ، معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتالب ، ولا اكتساب ، من طرب أو حزن ، أو قبض أو بسط وبين الحال بظهور صفات النفس ، فإذا دام وصار ملكة ، سمي مقاماً ، فالأحوال مذاهب والمقامات مكاسب ، والأولى تأتي من عين الجود ، والثانية يبذل المجهود ، وأن لا سبيل إلى بلوغ هذه الخواص بغير العمل المقتن بالعلم .

(١) المرجع السابق من ١٣١ ، من ١٣٤

(٢) توفي الفارمدى سنة ٤٧٧ هـ بطوس . وكان من تلاميذ الإمام الشيرى صاحب الرسالة الشيرية .

إذن لقد تخلص الغزالى من الشك وعرف الحقيقة .. يقول لنا الغزالى " وكان قد ظهر عندي أن لا طمع لي في السعادة الآخرة ، إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى ، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا ، بالتجافى عن دار الغرور ، والإبناية إلى دار الخلود ، والإقبال بكته الهمة على الله تعالى ، وإن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال ، والهرب من الشواغل والعوانق " .

ورسم لنا الغزالى تمام الطريق الصوفى بقوله " ان تخلو بنفسك فى زاوية ، تقتصر من العبادة على الفرائض والرواتب وتجلس فارغ القلب ، مجموع الهم ، مقبلًا بذكرك على الله ، وذلك فى أول الأمر يأن تواظب باللسان على ذكر الله تعالى فلا تزال تقول : الله الله ، مع حضور القلب وادراكه ، إلى أن تنتهي إلى حالة لو تركت تحريك اللسان لرأيت كأن الكلمة جارية على لسانك لكثره اعتياده ، ثم تصير مواظبا عليه ، إلى أن لا يبقى في قلبك إلا معنى اللفظ ، ولا يخطر ببالك حروف اللفظ وهيئات الكلمة ، بها يبقى المعنى المجرد حاضرا في قلبك على اللزوم والدوام ، ولك اختيار إلى هذا الحد فقط ولا اختيار بعد ذلك ، إلا في الاستدامة لدفع الوساوس الصارفة ، ثم ينقطع اختبارك فلا يبقى لك إلا الانتظار لما يظهر من فتوح ظهر منه للأولىاء ... فهذا منهج الصوفية وقد ورد الأمر فيه إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاه ، ثم استعداد وانتظار فقط " .

وهكذا انتهى الغزالى إلى أن الكشف الصوفى أو الإلهام هو أبرز مصادر المعرفة اليقينية بعد الوحي . وهو عطاء يفيض به الله تعالى على قلب الصوفى العارف إذا ما كان العارف يملك الاستعداد لهذا الكشف الوهبى العظيم . وهذه المعرفة القلبية الكشفية تكون مصحوبة ببرد اليقين ، ونور اليقين عند المؤمنين والراسخين في العلم ، وهذا النور الفياض يغمر القلب فيتپسح معه كل شيء " وهذا النور من الواضح بحيث أنه قد يخفى لشدة جلاته ، وقد يغفل عنه العارف لإشراق ضيائه " .

فعن طريق الكشف الصوفى أو الإلهام يكون العلم اليقينى وهو الذى قال عنه الغزالى إن يكتشف فيه المعلوم انكشفا لا يبقى معه ريب .

وتتصوف الغزالى يمثل التصوف السنى في الإسلام ، فلقد رفض نظريات الطول

• والاتحاد عند الحلاج التي نتج عنها فيما بعد فكرة وحدة الوجود عند ابن عربى فى القرن السابع الهجرى ، وبين الغزالى أن العبد عبد للرب رب ، وإن يكون أو يصير أحدهما الآخر البتة .

ويقول الغزالى " إن من طلب غيره (أى غير الله) فقد عبده " (١) .

ورفض الغزالى رفضا تاما فكرة أن الله روح العالم أو أنه العالم فيذكر عنه بسط فكرة أن الله خلق آدم على صورته : " إن آدم أنموذج ولا يخلو إلا نموذج عن محاكاة لما هو أنموذج عنه ، فالروح الإنسانى يحاكى الله فى ذاته وصفاته وأفعاله فهو يدير البدن كما يدير الله العالم ، والجسم الإنسانى عالم صغير فى مقابلة العالم الكبير .. كل جزء منهما له نظير فى الآخر .. هل الله روح العالم ؟ كلاما الدليل فهو أن الله خلق العالم بإرادته واختياره وهو الحافظ له ، والقادر على إفتائه باختياره وارادته ، وإلا لما كان هناك معنى للخلق ولا للاختيار ولا معنى للإرادة (٢) .

إن الغزالى يريد أن يؤكد على حقيقة طالما أشار إليها وهي أن العبد عبد للرب رب .

ويحاول الغزالى من منطلق التسامح الذى اتسم به مع الصوفيه أن يعتذر عن شطحات بعضهم فيقول :

" قليس للعارف أن يزعم إدراك الذات الإلهية فضلا عن أن يزعم الاتحاد بها أو حلولها فيه ، وإذا كانت المشاهدة أسمى مرتبة من الاستدلال ، فإنها ليست كشفا تاما ينزل معه كل حجاب ، وإذا وجدنا متتصوفا يدعى الحق (يقصد الحلاج) وجب تأويل قوله : إما على أنه يعترف بأن لا وجود له إلا بالحق ، وهذا التأويل منه بعيد لأن اللفظ لا ينبع به ، ولأن كل شيء سوى الحق فهو بالحق ، وأما على أن صاحب التوك يغفل عن ذاته فيكون همه الحق وحده بحيث لا يكون فيه متسع لغيره ، ويقول الغزالى إن هذا التأويل العقلى وحده هو الذي يمكننا من تفسير وفهم شطحات الصوفية : لأن من يستقره شيء فينسيه كل شيء "

(١) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢٢ .

(٢) المتقى من ٤٤ ، ص ٤٥ .

سواء يجوز له لا على سبيل الحقيقة أن يقول أنه هو هو^(١).

والغزالى يريد أن يعتذر عن شطحات الصوفية لأن ما يقولونه مجرد وهم وليس بالحقيقة أبداً .. ويوضح لنا الغزالى ان المتصوفة الخلص من المسلمين لم يذهبوا في التعبير عن استغراقهم التام في الحق إلى حد القول بالحلول والاتحاد . والذين يزعمون أن ما يقولونه هو الحقيقة فهو باطل وهو مجرد استغراقات أو نوع من القرب " يكاد يتخيّل منه طائفة الحلول وطائفة الاتّحاد وطائفة الاتصال وكل ذلك خطأ ، فالله يتجلّ ظاهراً من جهة افعاله ، ولكنّه يظلّ باطننا لشدة ظهوره ، وعندئذ لا يظهر إلا للعقل لا للمحسوس ، وإذا فهم النّوّق هذا الفهم لم يكن هناك ما يدعو العقل لإنكاره .. فإنّ من ليس له قدم راسخة في المعقولات ربما لم يميز أحدهما عن الآخر فينظر إلى كمال ذاته وقد تزيّن بما تلّأ فيه من حليّة الحق ، فيظنّ أنه هو فيقول إنه الحق .

ويوضح لنا الغزالى مصدر القول بالحلول فيقول إن مصدره المسيحية (إنه أى الحلول لا يتصور بين عبدين فكيف يتصور بين العبد والرب والعبد وعبد والرب رب .. أليس معنى الحلول هو انطباق جوهر علي جوهر أو جسم على جسم أو عنصر في جوهر) وهذا يستحيل عقلاً نسبته إلى الصلة بين الذات الإلهية .. ونفس العارف " مهما بلغت هذه النفس من الصفاء ، والتجرد عن كل ما يشغلها عن الحق ، ثم إذا كانت النفس حادثة ولا وجود لها إلا بارادة خالقها ، فكيف يتصور عقلاً أن تكون هي هو .

وإذا نحن سلمنا بإمكان ذلك بالنسبة إلى نفس واحدة ، فكيف لا نسلم به لجميع النفوس ، وعندئذ يصبح العالم كله الله . فمن الحال إذن أن يحل الله في النفوس أو أن ينطبع فيها انطباع الخمر في الدين فإن ذلك من صفات الأجسام^(٢) .

ويتفى الغزالى فكرة الاتّحاد ويهدمها من أساسها هدماً عقلياً عن طريق القسمة الجدلية التي تبرهن على استحالة كل حالة منها فيخرج بنتيجة كبرى هي أن الاتّحاد بين ذاتين أمر مستحيل لأن العقل لا يمكن أن يقبله .. لأنّه في حالة الاتّحاد بين ذاتين " أما أن

(١) كيمياء السعادة ٨٨، ٨٧.

(٢) المقصد الأسمى للغزالى .

تظل كل منها قائمة بنفسها وإن فليس هنا اتحاد . ومثال ذلك أن الإرادة والعلم والقدرة توجد في ذات واحدة ، ولكنها ليست متحدة ، لأنه يبقى من المقرر أن الإرادة غير العلم وغير القدرة . وإنما أن يقال ربما تقى إحدى الذاتين وتنظر الأخرى موجودة وهذا باطل . فلا يمكن في هذين الاحتمالين الحديث عن أي نوع من الاتحاد لأنه لا يمكن أن يحدث اتحاد بين موجود ومعنوم . أما الاحتمال الثالث وهو القول بانعدام الذاتين معا فهو فاسد من أساسه لأن حديثنا هنا عن الانعدام ، وليس حديثا عن الاتحاد .

وعن طريق القسمة الجدلية يصل بنا الغزالى إلى هذه النتيجة الهامة وهي " أصل الاتحاد إذن باطل وحيث يطلق الاتحاد ويقال : هو هو ، لا يكون إلا بطريق التوسيع والتجوز اللائق بعاده الصوفية والشعراء " .

ومن ثم ينبغي علينا أن نقول ما نسب مثلا إلى أبي يزيد البسطامي من أنه قال : " سبحانى ما أعظم شأنى " . فنقول إنه يتلفظ بهذه العبارات ليعبر بها عن عظمة الله وجلاله ، مثلا ينطق المرء بقوله تعالى " لا إله إلا أنا فاعبدينى " فليس من المعقول أن يقول هذه الألفاظ مقصوف طالبا من الناس أن يعيده .

هذا ويمكن تأويل قول البسطامي " سبحانى ما أعظم شأنى " تأويلا آخر وهو أنه في حالة المشاهدة شاهد جمالا وكمالا في نفسه . فقال عن قدس نفسه سبحانى ، كما شاهد عظم شأنه بالنسبة للآخرين فقال " ما أعظم شأنى " مع الاعتراف بالفرق الجوهرى بينه وبين قدس الله تعالى وعظم شأنه سبحانه وتعالى . ثم أنه لم يقل مثل هذه العبارة إلا وهو في حالة جذب ووجد وسكر ، لا في حالة صحو .

ويؤكد الغزالى أنه من المهم للغاية أن يحفظ الصوفي لسانه في حال صحوه ولا يتلفظ بمثل هذه العبارات الموجهة بالملائكة بين الله تعالى والعبد .

يقول الغزالى في المقصد السنى " ومن صدق بمثل هذا الحال فقد انخلع عن غريزة العقل ، ولم يتميز عنده ما يعلم بما لا يعلم ، ومن لم يفرق بين ما أحاله العقل وبين ما لا يناله العقل فهو أحسن من أن يخاطب فليترك وجهه " ومن ذلك كله نستطيع أن نقول إن تصوف الغزالى كان يمثل التصوف السنى في الإسلام " .

وبعد .. فلازلت أردد قول العمام الأصفهانى "إنى رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا في يومه إلا قال في غده" ، لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يُستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعمق العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر" .

ثم يبقى أن : أحمدك ربِّي كثيراً على سماحة نعماتك وعطائك على وإنى أسألك الهدایة والتوفيق . وأسألك الشكر على العافية والغنى عن الناس وأسألك الجنة يا رب العالمين .. وأسألك قبول هذا العمل وأن تجعله خالصاً لوجهك الكريم . وأسألك الشهادة في سبيلك والموت في المدينة المنورة فقد روى البخاري أن عمر قال « اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في حرم رسوك الأمين » اللهم آمين .

وختاماً : فإن كنت قد وقفت قلله تعالى الملة والشكر ، وإن أكن قصرت فإن الكمال لله وحده ، ومنه أستمد العون لدرك ما فاتني ، وهو الموفق والهادى سواء السبيل .

العبد النقير إلى الله تعالى
عامر النجار

الملاحق

أثار الفزالي

١ - المطبوعة

التصوف	
١ . - أداب الصوفية : طبع في مصر	الجوزى ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب
٢ . - الآداب في الدين : طبع ضمن مجمع في القاهرة ١٣٤٣ .	المصرية وأخرى في مكتبة باريس . ومنها : « روح الإحياء » لابن يونس ، ومنه نسخة في مكتبة أو كسفورد .
٣ . - الأربعين في أصول الدين : وهو القسم الثالث من جواهر القرآن طبع في مكة	وقد اختصره السيد جمال الدين القاسmi الدمشقى وسعاه « موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين » طبع ثلاث مرات في القاهرة .
٤ . - الإملاء عن أشكال الإحياء : رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرین له على بعض مواضع من الإحياء طبع بهامش « إتحاف السادة المتقيين » للزبيدي المرتضى كما طبع في فاس ١٣٠٢ .	٦ . - أيها الولد : كتبه لبعض أصدقائه نصحاً له ، وذكر نصائح ووصايا في الزهد والترغيب والترهيب . طبع مع ترجمة ألمانية في فيينا ١٨٣٨ و ١٨٤٢ باعتناه هامر برفستال ، كما طبع في مصر : ومنه نسخ خطية متفرقة في مكاتب أوروبا وفي دار الكتب المصرية .
٥ . - إحياء علوم الدين : وهو من أجل كتب الموعظ وأعظمها طبع في مصر غير مرة ، وفي لكتناو ١٣٨١ ، وبه حواش وتقيدات : ومنه نسخ خطية في مكاتب فيينا وبرلين ولinden والمتحف البريطاني وأوكسفورد وعليه شروح عديدة منها : « إتحاف السادة المتقيين » طبع في فاس ١٣٠٢ هـ في ١٣ مجلداً : وفي القاهرة ١٣١١ في عشرة مجلدات . ومنها : « منهاج القاصدين » لابن	٧ . - بداية الهدایة وتهذیب النفوس بالآداب الشرعية : طبع في القاهرة عدة مرات . ومنه نسخ خطية في برلين وغوطا ومونشن وباريس ولندن وأوكسفورد والجزائر ولینتفراڈ . وله مختصر أيضاً . وقد شرحه الشيخ محمد نورى الجاوي

- ١٦ . - الكشف والتبيين في غرور الخلق
أجمعين : طبع بهامش « تنبیه المفتر »
للشعراني .
- ١٧ . - المرشد الأمين إلى موعظة
المؤمنين (من إحياء علوم الدين) لخص فيه
الإحياء ، طبع بمصر ١٣٤١ هـ .
- ١٨ . - مشكاة الأنوار : فيه بحث عن
الفلسفة اليونانية من حيث التصوف ، طبع
في مصر ضمن مجموع عام ١٣٤٢ : ومنه
نسخ خطية في دار الكتب المصرية ، وسائل
المكاتب الدولية في أندوريا ولها ترجمة عبرانية
. .
- ١٩ . - مكاشفة القلوب المقرب إلى
حضرت علام الغيوب : مختصر من المكاشفة
الكبرى للفزالي ، اختصار بعض الأفاضل ،
طبع في مصر غير مرة .
- ٢٠ . - منهاج العابدين إلى الجنة قيل
إنه آخر تأليفه ، طبع في مصر غير مرة .
وعلى هامشه كتاب « بداية الدراسة » ومنه
نسخة خطية في برلين وبارييس وليدن
والمتحف البريطاني والجزائر ولها تلخيص
ينسب إلى « بلاطونى » من أهل القرن
التاسع الهجرى وهذا له شرح ترجم إلى
التركية .
- ١٧ . - بكتابه المسىى « مراقي العبودية »
٨ . - جواهر القرآن ودرره : طبع في
مكة ويمبى ومصر ومنه نسخة في ليدن
والمتحف البريطاني ولانتفراود دار الكتب
المصرية .
- ٩ . - الحكمة في مخلوقات الله : طبع
غير مرة في مصر .
- ١٠ . - خلاصة التصانيف : ألفه باللغة
الفارسية ، وترجمه محمد أمين الكردي
المتوفى سن ١٣٣٢ ، طبع في مصر ١٣٢٧ .
- ١١ . - الدرة الفاخرة في كشف علوم
الآخرة : طبع في جنيف ١٨٧٣ م بعنایة (
غوتیه) وفي القاهرة غير مرة ؛ وفي ليسيك
١٩٢٥ .
- ١٢ . - الرسالة اللذية : طبعت مع
رسالة « كنه ما لابد منه للمريد منه » لابن
العربى .
- ١٣ . - الرسالة الوعظية : طبعت ضمن
مجموع في القاهرة ١٣٤٣ .
- ١٤ . - فاتحة العلوم : وهو مشتمل على
فصلين ، ومنه نسخة في مكتبة برلين وأخرى
في مكتبة باريس ، طبع في مصر ١٣٢٢ .
- ١٥ . - القواعد العشرة : طبع في مصر
غير مرة .

- ٢٨ - فيحصل التفرقة بين الإسلام والزنادقة : طبع في مصر ١٣٤٣ خصمن مجموع . ومنه نسخ خطية في برلين والقاهرة .
- ٢٩ - القسطاس المستقيم : طبع في مصر غير مرة ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ونسخة في برلين وأخرى الأسكندريال ، وعليه شرح اسمه « ميزان القويم » .
- ٣٠ - كيمياء السعادة : طبع غير مرة في مصر ، ومنه نسخة فارسية في مكتبة برلين ، وأجزاء متفرقة في سائر المكاتب ، فضلاً عن النسخة العربية .
- .. المستظہری : راجع فضائح الباطنية .
- .. المصنون به على أهلہ : يسمى الأجوية الغزالیة ، طبع في مصر غير مرة وفي الهند .
- ٣١ - المقصد الأسنی في شرح أسماء الله الحسنی : طبع في مصر ١٣٢٤ م .
- الفقه والأصول
- ٣٢ - أسرار الحج : في الفقه
- ٢١ - ميزان العمل : مختصر في علم النفس وطلب السعادة ، التي لا تناول إلا بالعلم والعمل ، وبيان شرف الفعل والعلم والتعليم . طبع في ليبسيك ١٨٣٩ وفي مصر ١٣٢٨ .
- العقائد
- ٢٢ - الأجوية الغزالیة في المسائل الأخرى : راجع المصنون به على أهلہ .
- ٢٣ - الاقتصاد في الاعتقاد : طبع في مصر غير مرة .
- ٢٤ - إلجام العوام عن علم الكلام : طبع في مصر غير مرة ، وفي الهند ، ومنه نسخ خطية في مكاتب أوروبا .
- ٢٥ - الرسالة القدسية في قواعد العقائد : طبع في الإسكندرية (دون تاريخ)
- ٢٦ - عقيدة أهل السنة : طبع في الإسكندرية (دون تاريخ) ومنه نسخ خطية في برلين وأوكسفورد ولندن .
- ٢٧ - فضائح الباطنية وفضائل المستظہری : ويسمى المستظہری ؛ نشر منه « جولد تسیهر » قسماً كبيراً وقدم له مقدمة ويبحث فيه بحثاً طويلاً باللغة الألمانية ، طبع في ليدن ١٩١٦ مع المتن العربي .

٤٧ - نور الشمعة في بيان ظهر
الشافعى ، طبع في مصر (دون تاريخ) .
والحكمة الإلهية والحكمة الطبيعية ، طبع
في ليدن ١٨٨٨ م مع شروح ، وفي القاهرة
غير مرة ، وله ترجمة لاتينية طبعت في
البنديقية ١٥٠٦ م .

٤٨ - المقد من الضلال : (وهو هذا
الكتاب) منه نسخ خطية في مكاتب برلين
وليدين وبارييس والاسكوريال ودار الكتب
المصرية وتتكلم عنه مطولاً « شمولدرز » في
كتابه عن فلسفة العرب المطبوع ١٨٤٢ م
بالفرنسية .

٢ . المخطوطات

التصوف

- ٤٩ - جامع الحقائق بتجربة العلائق :
منه نسخة خطية في مكتبة أوبسال .
- ٥٠ - زهد الفاتح : منه نسخة خطية
في المتحف البريطاني .
- ٥١ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك
: بحث في حياة الصوفى ومنه نسخة في
الاسكوريال .
- ٥٢ - معارج السالكين : منه نسخة
في مكتبة باريس .
- ٥٣ - نور الشمعة في بيان ظهر
الشافعى ، طبع في مصر (دون تاريخ) .

٣٣ - المستحسن في علم الأصول :
طبع في القاهرة غير مرة ، ومنه نسخ خطية
في دار الكتب المصرية ، وفي مكتبة غوطا .

٣٤ - الوجيز في الفروع : أخذه من
البسيط والوسيط ، وزاد فيه أموراً ، وهو
كتاب جليل في المذهب الشافعى . (مطبعة
شركة الكتب ١٣١٨ ج ٢) . ومنه نسخة
خطية في دار الكتب المصرية وله شروح
عديدة لم تطبع .

الفلسفة والمنطق

- ٣٥ - تهافت الفلسفه : طبع في
مصر غير مرة ، وفي بمبای (الهند) ،
رد فيه على الفلسفه الطبيعين وقد ترجم إلى
العيرانية .
- ٣٦ - رسالة الطير : طبع ضمن
مجموع في القاهرة ١٢٤٣ هـ .
- ٣٧ - محك النظر في المنطق : طبع
في مصر (دون تاريخ) .
- ٣٨ - مشكاة الأنوار : طبع في مصر
ضمن مجموع ١٢٤٣ .
- ٣٩ - معارج القدس في مدارج معرفة
النفس : طبع في القاهرة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م .
- ٤٠ - معيار العلم في المنطق : طبع

٣ - المفقودة

١

- ٥٥ . - أداب الكتب والمعاش .
- ٥٦ . - الأجوية المسكتة عن الأسئلة المبهنة .
- ٥٧ . - أخلاق الأبرار والنرجاة من الأشرار .
- ٥٨ . - إرشاد العباد .
- ٥٩ . - أرواح الاشباح .
- ٦٠ . - أساس القياس .
- ٦١ . - الأسئلة والأجوية .
- ٦٢ . - أسرار الانوار الالهية في الآيات المثلوقة القرانية .
- ٦٣ . - أسرار اتباع السنة .
- ٦٤ . - أسرار حروف الكلمات .
- ٦٥ . - أسرار العاملات .
- ٦٦ . - الإشارة المعنوية إلى الأسرار الحرافية .
- ٦٧ . - إشراق المأخذ .
- ٦٨ . - الامتناع لمشينة الله تعالى والعصيان لها .
- ٦٩ . - الانتصار على الإمام الزناتي .
- ٧٠ . - الانتصار لما في الأجناس من

ال الجمعة : منه نسخة خطية في ليدن .

الفقه والأصول

- ٤٨ . - البسيط في الفروع على نهاية المطلب لمام الحرمين : منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال وأخرى في دار الكتب المصرية .
- ٤٩ . - غاية مسائل الدور : منه نسخة خطية في مكتب المتحف البريطاني .
- ٥٠ . - المنخول في الأصول : منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية .
- ٥١ . - الوسيط المحيط بأقطار البسيط : منه نسخ خطية في مكتبتي مونشن وأكسفورد ودار الكتب المصرية .

الفلسفة

- ٥٢ . - حقائق في العلوم لأهل الفهوم : منه نسخة في مكتبة باريس .
- ٥٣ . - المعارف العقلية والحكمة الإلهية : منه نسخ في مكتبتي باريس وأوكسفورد .
- ٥٤ . - فضائل القرآن : منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية .

<p style="text-align: center;">فِي الْمَنْقَدِ) .</p> <p>٨٩ - جِنْتَةُ الْأَسْمَاءِ</p> <p>٩٠ - الْجَوَابَاتُ الْمَرْقُومَةُ</p> <p>٩١ - الْجَوَاهِرُ وَالدَّرِرُ فِي التَّصْوِيفِ</p> <p style="text-align: center;">ح</p> <p>٩٢ - حِجَّةُ الْحَقِّ (ذِكْرُهُ فِي الْمَنْقَدِ)</p> <p>٩٣ - الْحَدِيدُ</p> <p>٩٤ - الْحَمْنَ وَالْحَصْنَ</p> <p>٩٥ - حَصْنُ الْمَأْذَنِ</p> <p>٩٦ - الْحَقَانِقُ فِي الدَّرِّ الْقَائِقِ</p> <p>٩٧ - حَقْوَقُ أُخْرَا الْإِسْلَامِ</p> <p>٩٨ - حَقِيقَةُ الرُّوحِ</p> <p>٩٩ - حَقِيقَةُ الْقَوْلَىنِ</p> <p>١٠٠ - حلُّ الرُّمُوزِ</p> <p style="text-align: center;">خ</p> <p>١٠١ - الْخَاتَمُ فِي الْطَّلَاسِمِ</p> <p>١٠٢ - الْخَلاَصَةُ فِي الْفَقَهِ</p> <p>١٠٣ - خَلَامِشُ الْوَسَائِلِ إِلَى عِلْمِ الْمَسَائِلِ (لِخَمْنَ فِيهِ مُختَمِسُ الْمَرْتَبِيِّ وَزَادَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَسَائِلِ) .</p> <p>١٠٤ - خَواصُ الْحُرُوفِ</p> <p>١٠٥ - خَواصُ الْقُرْآنِ</p> <p style="text-align: center;">د</p> <p>١٠٦ - الدَّرِجُ الْمَرْقُومُ بِالْجَدَاوِلِ</p>	<p style="text-align: center;">الْأَسْرَارِ .</p> <p>٧١ - الْأَنْتِيسُ فِي الْوَحْدَةِ .</p> <p>٧٢ - إِيْضَاحُ التَّعْرِيفِ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ</p> <p style="text-align: center;">الشَّرِيفِ .</p> <p style="text-align: center;">ب</p> <p>٧٣ - بَدَائِعُ الصَّنْبَعِ .</p> <p>٧٤ - الْبَدُورُ فِي أَخْيَارِ الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ .</p> <p>٧٥ - بَيَانُ الْقَوْلَىنِ لِشَافِعِي ت</p> <p>٧٦ - التَّأْوِيلَاتِ</p> <p>٧٧ - التَّجْرِيدُ فِي التَّوْحِيدِ</p> <p>٧٨ - تَحْصِنُ الْمَأْذَنِ</p> <p>٧٩ - تَحْصِنُ الْاَدَلَةِ</p> <p>٨٠ - تَحْفَةُ الْمَلُوكِ</p> <p>٨١ - تَدْلِيسُ إِبْلِيسِ</p> <p>٨٢ - تَعْلِيقَةُ فِي الْفَرْعَ</p> <p>٨٣ - تَفْسِيرُ الْآيَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ سُورَةِ يُونُسِ</p> <p>٨٤ - تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ</p> <p>٨٥ - تَقْسِيمُ الْأَلْوَانِ وَالْأَنْوَارِ</p> <p>٨٦ - تَتْبِيَّهُ الْغَافِلِينِ</p> <p>٨٧ - التَّوْحِيدُ وَإِثْبَاتُ الصَّفَاتِ</p> <p style="text-align: center;">ج</p> <p>٨٨ - الْجَدَاوِلُ الْمَرْقُومُ بِالْدَّرِجِ (ذِكْرُهُ</p>
---	---

- | | |
|---|--|
| <p>١٢٥ . - « فِي حِقَائِقِ الْعِلُومِ لِأَهْلِ الْفَهْوِ »</p> <p>١٢٦ . - « فِي حِقَائِقِ الدِّينِ »</p> <p>١٢٧ . - « فِي حِمَاةِ أَهْلِ الْإِبَاحةِ »</p> <p>١٢٨ . - « فِي رَجُوعِ أَسْمَاءِ اللَّهِ إِلَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ عَلَى رَأْيِ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ »</p> <p>١٢٩ . - رِسَالَةٌ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ النُّطُقِ وَالْكَلَامِ .</p> <p>١٣٠ . - « فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ وَتِلْاقِهِ »</p> <p>١٣١ . - « فِي قَوْلِهِ ﴿أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خَلْقًا﴾ »</p> <p>١٣٢ . - « فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى »</p> <p>١٣٣ . - « فِيمَا يُجْبِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ »</p> <p>١٣٤ . - « فِي مَعْنَى الرِّيَاضَةِ »</p> <p>١٣٥ . - « فِي الْمَوْتِ »</p> <p style="text-align: center;">ز</p> <p>١٣٦ . - زَادُ الْآخِرَةِ</p> <p>١٣٧ . - الزَّمْدُ الْفَاتِحُ</p> <p style="text-align: center;">س</p> <p>١٣٨ . - سِيرُ الْمُلُوكِ (فارسی)</p> <p>١٣٩ . - السِّرُّ الْمَصْنُونُ فِي الْعِلْمِ الْمَكْتُونِ .</p> | <p>١٠٧ . - الدِّرْ المَنْظُومُ فِي السِّرِّ الْمَكْتُومِ (وَيُعْرَفُ بِخَاتَمِ الْغَزَالِيِّ وَبِوَفْقِ زَحْلٍ)</p> <p>١٠٨ . - دِقَائِقُ الْأَخْبَارِ</p> <p style="text-align: center;">ذ</p> <p>١٠٩ . - ذِكْرُ الْعَالَمِينَ</p> <p>١١٠ . - الْذَّهَبُ الْإِبْرِيزِيُّ فِي خَواصِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ</p> <p style="text-align: center;">ر</p> <p>١١١ . - الرِّدُ الْجَمِيلُ عَلَى مَنْ غَيَرَ الإِنْجِيلَ . « طَبَعَ » أَكْثَرُ مِنْ مَرْأَةٍ .</p> <p>١١٢ . - الرِّدُ عَلَى مَنْ طَغَى</p> <p>١١٣ . - رِسَالَةُ اِدَابِ الصَّلَاةِ</p> <p>١١٤ . - الْاِقْطَابُ</p> <p>١١٥ . - التَّوحِيدُ</p> <p>١١٦ . - رِسَالَةُ الْجَبَرِ الْمُتَوَسِّطِ</p> <p>١١٧ . - ذِكْرُ الْمُنْكَرِ</p> <p>١١٨ . - ذِكْرُ الْعُشُقِ</p> <p>١١٩ . - الرِّسَالَةُ الْغَزَالِيَّةُ فِي الْلِّغَةِ</p> <p>١٢٠ . - رِسَالَةُ فِي فَسْتوْحِ الْقُرْآنِ (رِسَالَةُ أَلْفَهَا إِلَى أَبِي الْفَتْحِ الدَّمِيَّيِّ) .</p> <p>١٢١ . - رِسَالَةُ فِي أَفَاتِ الْمَالِ وَفَوَائِدِهِ</p> <p>١٢٢ . - رِسَالَةُ فِي الْأَحْرَفِ</p> <p>١٢٣ . - ذِكْرُ الشَّبَابِ عَلَى الصِّرَاطِ</p> <p>١٢٤ . - ذِكْرُ الْحَدُودِ</p> |
|---|--|

- ١٥٨ . - **النهاية والنهاية** (وهو مجموع
قصائد في مدح الرسول « ص »)
- ١٥٩ . - **الغور في التور** (صنفه بعد
غاية الغور ، رجع فيه عن قوله السابق)
- ث
- ١٦٠ . - **فاتحة العلوم**
- ١٦١ . - **الفتاوى** (مشتملة على ١٩٠
مسألة غير مرتبة)
- ١٦٢ . - **الفتوح الربانى في فتح الروح
الإنسانى**
- ١٦٣ . - **فرز ندname (فارسى)**
- ١٦٤ . - **الفرق بين الصالح وغير
الصالح**
- ١٦٥ . - **فضائح الإباحية**
- ١٦٦ . - **فضائح القرآن**
- ١٦٧ . - **فضائح الانام (فارسى)**
- ١٦٨ . - **الفكرة والعبرة**
- ١٦٩ . - **الفكرة والزهد**
- ١٧٠ . - **القوائد المتفرقة**
- ١٧١ . - **فوائح السور**
- ١٧٢ . - **الفوز في الكيمياء**
- ق
- ١٧٣ . - **قانون الرسول**
- ١٧٤ . - **القانون الكلى**
- ١٧٥ . - **القربة إلى الله عز وجل**

- ش
- ١٤٠ . - **شجرة اليقين**
- ١٤١ . - **شرح الارشاد**
- ١٤٢ . - **شرح المصدر**
- ١٤٣ . - **شرح خبة الأسماء**
- ١٤٤ . - **شفاء الغليل في بيان مسائل
التعليل (في أصول الفقه) طبع.**
- ١٤٥ . - **شفاء العليل فيما وقع في
التوراة والإنجيل من التحرير والتبديل .**
- ع
- ١٤٦ . - **كتاب العلق**
- ١٤٧ . - **« العلم**
- ١٤٨ . - **عجائب صنع الله**
- ١٤٩ . - **عدة العباد ليوم المعاد**
- ١٥٠ . - **العقيدة (المعروفة بعقيدة
الغزالى)**
- ١٥١ . - **عقيدة المصباح**
- ١٥٢ . - **حقوق المختصر**
- ١٥٣ . - **العنوان**
- ١٥٤ . - **عين العلم**
- غ
- ١٥٥ . - **غاية العلوم وأسرارها**
- ١٥٦ . - **غاية القصوى في فروع
الشافعية**
- ١٥٧ . - **غاية الوصول في علم الأصول**

- | | |
|---|--|
| ١٩١ . - المسائل البغدادية
١٩٢ . - مسلم السلاطين
١٩٣ . - المصالح والمقاصد
١٩٤ . - المصباح في العقائد
١٩٥ . - مصطفيات الأنوار
١٩٦ . - معتاد العلم
١٩٧ . - المعتقد
١٩٨ . - المعواج
١٩٩ . - معيل النظر
٢٠٠ . - مغالط المغروبين
٢٠١ . - مفصل الخلاف
٢٠٢ . - المقاصد
٢٠٣ . - مقامات العلماء بين يدي

الخلفاء والأمراء
٢٠٤ . - مقصد الخلاف في علم الكلام
٢٠٥ . - المكتبات
٢٠٦ . - المكتونات
٢٠٧ . - المكتون في الأصول
٢٠٨ . - المنادي والصامت
٢٠٩ . - المنازل السائرة
٢١٠ . - منهاج العارفين
٢١١ . - المنتحل في علم الجدل
٢١٢ . - منشأ الرسالة أحکام في

الزينة والضلال
٢١٣ . - منهاج الرشاد
٢١٤ . - منهاج القاصدين . طبع أكثر من | ١٧٦ . - قواعد العقائد . طبع أكثر من مرة
١٧٧ . - القول الجميل في علي من غير الانجيل

ك
١٧٨ . - الكافي في العقد الصافي
١٧٩ . - كشف الأسرار في فضائل الاعمال
١٨٠ . - كلمات تقرير على مقامات (فارسي)
١٨١ . - كنز العدة
١٨٢ . - كنز القوم والسر المكتوم

ل
١٨٣ . - اللباب في التصوف

م
١٨٤ . - المأخذ في الخلاف بين الحقيقة
١٨٥ . - ما لا بد منه (في الطهارة والصلوة والصوم)
١٨٦ . - المبادئ والغايات في أسرار الحروف
١٨٧ . - المبادئ والغايات في قتل المسلمين بالذمى
١٨٨ . - مذهب أهل السلف
١٨٩ . - مراقي الزلفى
١٩٠ . - مرشد الطالبین |
|---|--|

<p style="text-align: center;">و</p> <p>٢٤٤ . - الوسائل في الفروع ٢٤٥ . - الوظائف في بيان العلوم ـ</p> <p>٢٤٦ . - مشت قائد انز جاتم أصم (فارسي) ـ</p> <p>٢٤٧ . - ياقوت التأويل في تفسير التنزيل (وهو تفسير القرآن في أربعين مجلداً) ـ</p> <p>٢٤٨ . - بواقيت العلوم (فارسي)</p>	<p style="text-align: right;">من مرة .</p> <p>٢٤٥ . - منهج المتعلم ٢٤٦ . - المنهج الأعلى ٢٤٧ . - الموعظ في الأحاديث القدسية ٢٤٨ . - مواهم الباطنية</p> <p style="text-align: center;">ن</p> <p>٢٤٩ . - نصائح الملوك (فارسي) ٢٥٠ . - نصيحة الملوك ٢٥١ . - فعمة القمير ٢٥٢ . - نهاية القدام في الفقه ٢٥٣ . - النية والأخلاق</p>
--	---

نقلنا هذه الجريدة عن مقدمة كتاب المندى من الضلال للغزالى طبعة مكتب النشر العربى بدمشق وأستقى هذه الجريدة من المصادر التالية : طبقات السبكى ، طبقات الشافعى للحزامى ، عقود الجوهر فى ملوك خمسون مصنفًا فمئة فأكثراً لجميل العظم ، معجم المطبوعات العربية والمغربية لسر كيس ، المجلد الخامس عشر من الهلال ، الأخلاق عند الغزالى لزكى مبارك .

هذا وقد عُثر على بعض هذه المؤلفات الغزالية وطبعت أكثر من مرة .

٣ . - المنحولة

- ٤ . - السر المكتوم في أسرار النجوم
- ٥ . - المضنوون به على غير اهله :
- اشتمل هذا الكتاب على القول بقدم العالم
ونفي علم القديم بالجزئيات ، ولهذا ذهب
السبكي وابن الصلاح والزيبيدي وتابعهم
الدكتور علي العتاني وغيره من علماء العصر
على إبعاد هذا الكتاب من جريدة كتب
الغزالى . طبع في مصر غير مرة ، ومنه
نسخ خطية في دار الكتب المصرية ومكاتب :
برلين وبارييس وليدن وليننغراد .
- ٦ . - النفح والتسوية

١ . - التبر المسيوک في حكايات وحكم
ونصائح الملوك : طبع في القاهرة غير مرة
وقد ترجمه عن الفارسية إلى العربية - فيما
يزعم التنين دسوه على الغزالى - أحد تلامذة
المؤلف ويسمى أيضا « عمدة المحققين
ويرهان اليقين » .

٢ . - تحسين الظنون

٣ . - سر العالمين وكشف ما في الدارين
: يبحث في نظام الحكومات : منسوب له ،
والصواب أنه لأحد الباطنية . طبع في الهند
ومصر . ومنه نسخة خطية في دار الكتب
المصرية .

فهرست الكتاب

الموضوع

المبحث الأول : الغزالى وتلاميذه وأهم كتبه	٧٢ - ٧
أولاً : أضواء على الغزالى وتلاميذه	١٨ - ٧
١ - تعريف الغزالى	١٤ - ٧
٢ - تلاميذ الغزالى	١٨ - ١٤
 ثانياً : من مؤلفات الغزالى	
٧٢ - ١٩	مدخل إلى وسائل البحث عند الغزالى
٢٢ - ١٩	١ - كتاب إحياء علوم الدين
٤٣ - ٢٢	٢ - كتاب مشكاة الأنوار
٦٦ - ٤٣	٣ - كتاب كيمياء السعادة
٦٩ - ٦٦	٤ - كتاب المضبون به على غير أهله المنسوب خطأ إلى الغزالى
 المبحث الثاني : مشكلة المعرفة اليقينية عند الغزالى	
١١٣ - ٧٣	أولاً : منهج الشك عند الغزالى
٨٦ - ٧٣	١ - البحث عن الحق واليقين عند الغزالى
٧٨ - ٧٣	٢ - الشك بين الغزالى وديكارت
٨٣ - ٧٨	٣ - الغزالى وأصحاب الوضعية الحديثة
 ثانياً : أصناف الطالبين عند الغزالى	
١١٣ - ٨٦	١ - الغزالى ... وعلم الكلام
٩٣ - ٨٦	٢ - الغزالى ... والفلسفة
١٠٥ - ٩٣	٣ - الغزالى ... ومذهب التعليمية الباطنية
١١٣ - ١٠٧	٤ - الغزالى ... والصوفية
١٢٣ - ١١٥	ملحق الكتاب

من مؤلفات الدكتور عامر النجار

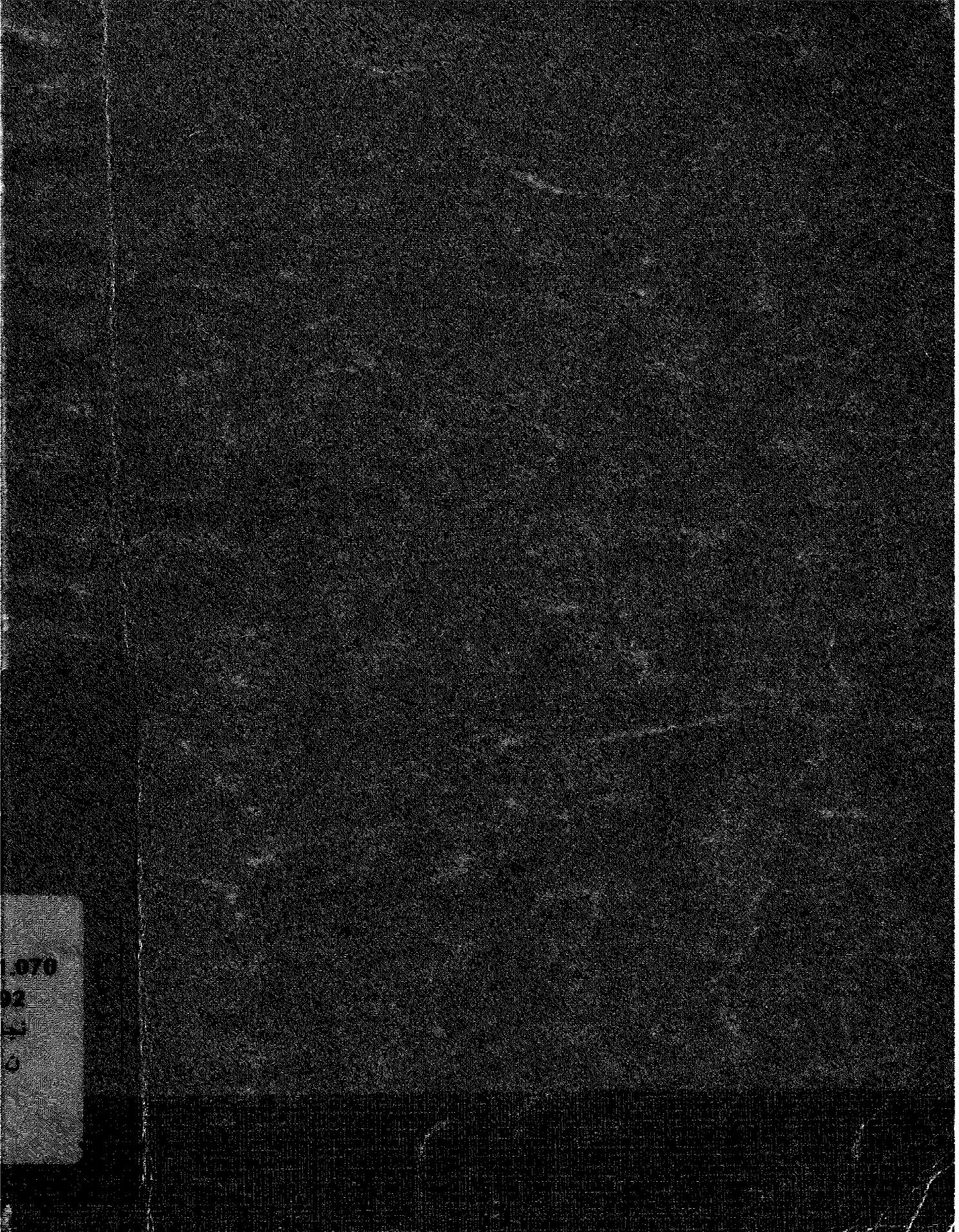
- الطهارة في الإسلام طبعة ثالثة دار المعرف بالقاهرة .
- الطرق الصوفية في مصر طبعة رابعة دار المعرف بالقاهرة
- التصوف النفسي طبعة أولى دار المعرف بالقاهرة
- في تاريخ المطب في الدولة الإسلامية طبعة ثانية دار المعرف بالقاهرة
- الخوارج .. عقيدة .. وفكرة .. وفلسفة طبعة ثالثة دار المعرف بالقاهرة
- علم الكلام طبعة أولى دار المعرف بالقاهرة
- نظرات .. في فكر الغزالى طبعة ثانية دار المعرف
- كتاب الصلاة طبعة ثالثة دار المعرف بالقاهرة
- الإياصية ومدى صلتها بالخوارج طبعة أولى دار المعرف بالقاهرة .

تحت الطبع

- الدروز .. عقيدة .. وفكرة .. وفلسفة .
- الزكاة في الإسلام

٩٢/٩٥١٨	رقم الإيداع
الترقيم الدولي ٠٣٨٨٨ - ٠٢ - ٩٧٧ - S.B	

٢/٩٢/٣١
جولدن ستار للطباعة



**Thanks to
assayyad@maktoob.com**

To: www.al-mostafa.com